السميائية العددية في الحضارات القديمة والآداب الشعبية

إعـــــداد

د/ أسماء عبد الرحمن عبد الرحيم أحمد

مدرس الأدب الشعبي بقسم اللغة العربية

كلية الآداب جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام : ١٥/٨/٢٠٢١م

تاريخ القبول : ٢٣ / ٨ /٢٠٢١م

ملخص:

ترتبط المعتقدات الشعبية بسلسلة من التجارب الإنسانية والخبرات التراكمية المترابطة، وعند بلورتها في الآداب الشعبية المختلفة، تتحول إلى رموز وعلامات دالة عليها، تعد الأعداد أهم تلك الرموز، التي اهتم بها الإنسان منذ القدم، واختلفت أشكالها ورسومها عند مختلف الأمم والحضارات، وتحاول هذه الدراسة كشف تلك السميائيات/ العلاقات، بين هذه الأعداد والمعتقدات، وأثرها على سلوك المجتمعات، واقتصرت الدراسة على العددين (ثلاثة وسبعة)، نظرا لكونهما أكثر الأعداد انتشارا، وأكثرها تأثيرا وقوة في نفوس المجتمع المصري؛ بل والعربي منذ أقدم العصور.

لذا استخدمت الدراسة المنهج التاريخي والنفسي بجانب التحليلي، وقسمت إلى:

مقدمة وثلاثة مباحث؛ ينقسم كل مبحث إلى جزئين؛ يعد المبحث الأول مبحثا مفاهيميا(حول مصطلح السميائية)، فيضم مفهوم السميائية ومفهوم العددية، لغة واصطلاحا. وكذا ينقسم المبحث الثاني الموسوم بـ (السميائية العددية في الحضارات القديمة) إلى جزئين؛ الأول بعنوان (السميائية العددية في الحضارات القديمة)، والثاني (سمياء الأعداد في القرآن والسنة).

أما المبحث الثالث جاء بعنوان (السميائية العددية في الآداب الشعبية)؛ وتناول العدد (ثلاثة) في الحكاية الشعبية والأغنية الشعبية، والأمثال الشعبية، والألغاز، أما العدد (سبعة) فجاء في الجزء الثاني من المبحث، وفيه تم تناول العدد سبعة في الحكاية الشعبية والأغنية الشعبية والأمثال الشعبية، بالإضافة إلى المعتقدات الشعبية.

واختتمت الدراسة بالنتائج والتوصيات، وقائمة من المصادر والمراجع التي أسهمت في إتمام هذه الدراسة.

Abstract:

Numerical Semiotics in ancient civilizations and Folk Literature

Folk beliefs are linked to a series of human experiences and cumulative interconnected experiences, and when crystallized in different folk literatures, they turn into symbols and signs indicative of them. Numbers are the most important of those symbols, which man has been interested in since ancient times, and their forms and signs varied among different nations and civilizations, and this study attempts to reveal Those semiotics/relationships between these numbers and beliefs, and their impact on the behavior of societies, and the study was limited to the two numbers (three and seven), given that they are the most widespread numbers, and the most influential and powerful in Egyptian society; And even the Arab society since ancient times.

Therefore, the study used the historical and psychological approach in addition to the analytical, and was divided into:

Introduction and three topics; Each topic is divided into two parts; The first topic is a conceptual topic (on the term semiotics), which includes the concept of semiotics and the concept of numerology, both linguistically and idiomatically. The second topic, which is labeled (Numerical Semiotics in Ancient Civilizations), is divided into two parts; The first is titled (Numerical Semiotics in Ancient Civilizations), and the second is (Numerous Semiticism in the Qur'an and Sunnah).

As for the third topic, it was entitled (Numerical Semiotics in Folk Literatures); And dealt with number (three) in the folk tale, the folk song, the proverbs, and the riddles, while the number (seven) came in the second part of the topic, in which the number seven was dealt with the folk tale, the folk song, and the folk proverbs, in addition to the popular beliefs.

The study concluded with results, recommendations, and a list of sources and references that contributed to the completion of this study.

المقدمة:

ارتبطت حياة الإنسان منذ القدم بالأعداد، فاتخذوا لها أشكالا مختلفة أفقية ورأسية، ومستقيمة ومائلة ومطوية (المائة مثلا)، واتخذوا من بعض الحيوانات رمزًا للأعداد؛ بل وبعض أجزائها كالرأس والأرجل وتجاوزوها إلى النباتات كاللوتس وغيرها، وقد بدت أهميتها من خلال الممارسات الدينية في أكناف المعابد، فتجاوزت دلالته تلك الدلالات الظاهرية التي تشير إلى الدلالة المادية والحسية للعدد، إلى علاقات روحانية خلقها الإنسان القديم مع كل ما يحيط به من مفردات حية وغير حية.

لقد أصبح العدد رمزًا يشير إلى معانٍ ودلالات، يتفق عليها الجماعة، وأدخلوه في علاقات تبادلية تؤكد تلك الدلالات، مما جعل له سلطة وقدسية تسيطر على النفس البشرية وتوجه سلوكها.

لقد كان لعلم السيمياء الفضل في كشف تلك العلاقات المتبادلة والمتسلسلة التي تكشف البنيات العميقة (الضمنية)، التي تتجاوز الشكل السطحي للعلاقات بين تلك الأعداد.

سعت هذه الدراسة إلى كشف تلك السيميائيات في كثير من المعتقدات الشعبية الخاصة بالميلاد والزواج والموت والأقوال، المتمثلة في الحكايات الشعبية والأمثال والأغنيات والألغاز.

واقتصرت الدراسة على العددين (ثلاثة وسبعة)؛ نظرًا لانتشارهما في التراث الشعبي بصفة عامة؛ مما يؤكد قداسة هذين العددين في نفوس الجماعات، بالإضافة إلى تباين دلالتهما في كثير من المجتمعات، وعلى مر العصور.

المبحث الأول

حول مصطلح السيميائية العددية

أولًا ـ مفهوم السيميائية:

يعد علم السيمياء من العلوم الحديثة التي ظهرت في بدايات القرن العشرين، كعلم له سماته وخصائصه.

أما لفظ السيمياء فقد وجد في اللغة العربية بدلالته المنتشرة بمعنى "العلامات"، وأكد ذلك المعنى حين ورد في سورة الفتح:﴿ **سيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾[١]، ولا تختلف دلالة هذا اللفظ عمَّا أورده ابن منظور في لسان العرب؛ بأن السمة/ السمياء هى: "العلامة على صوف الغنم، والعلامة توضع على الشاة"[٢]، وفي الشعر العربي "وسوم الفرس: جعل عليها السمية"[٣]، ويقال: "الموسومة: المرعية، المسومة: المعلمة"[٤].

وقد اختلف الدراسات حول هذا المعنى الذي يدور حول العلامات والرموز، في الوقت الذي اجتمعت حول أسسه، التي استمدها من علوم عدة، يأتي علم النفس والفلسفة والاجتماع على رأسها؛ لذا وصفه بعض الباحثين، بأنه دراسة الدليل اللغوي من وجهة فلسفية خالصة: " ليس المنطق بمفهومه العام إلا اسمًا آخر للسيموطيقيا، والسيموطيقيا نظرية، شبه ضرورية، أو نظرية شكلية للعلامات"[٥].

ويربط "بنكراد" بين مدلولها كعلم للعلامات، والحياة الاجتماعية المعيشة إذ يقول: "إنها في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية، من خلال التجلي المباشر للواقعة"[٦].

وقد استمد هذا التعريف من تعريف العالم سوسير الذي نسب الكثيرون إليه نشأة هذا العلم، وإرساء قواعده: "إنه يمكننا إذن تصور علم يدرس حياة العلامات في صدر الحياة الاجتماعية، وهو يشكل جانبًا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام، إننا ندعوه بالأعريضة تلك التي تدل على كنه، وماهية العلامات والقوانين التي تنظمها" [٧].

وتعد اللغة أهم مجالات علم السيميولوجيا، لذا فإن السيميولوجيا ترتكز على الاستقراء، والاستنتاج "ممارسة استقرائية استنتاجية"(٨).

هذا الاستقرار يُبنى على إقامة علائق متبادلة بين أجزاء الكل المترابط، وبالنظر إلى العمل الأدبي، فإنه يعد النص" ذي بنيتين، إحداهما ظاهرة، والأخرى عميقة، يجب تحليلهما ومعرفة العلائق بينهما"(٩).

وتلك العلاقات المترابطة هي التي تشكل دلالة العلامات وماهيتها، فالعلامة "اصطلاح اجتماعي نفعي، وتشكل لا يستمد قيمته ودلالته من ذاته؛ وإنما يستمدها من طبيعة العلاقات القائمة بينه، وبين سائر العلامات الأخرى"(١٠).

وتسعى السيميائية في كل دراساتها إلى تحويل العلوم الإنسانية – لاسيما اللغة والأدب والفن – من مجرد تأملات وانطباعات إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة. ويتم لها ذلك من خلال التعمق والكشف عن العلاقات الداخلية التي تنطوي عليها، وعدم الأخذ بالعلاقات الخارجية السطحية فقط.

ومفهوم العلامة متسع؛ حتى إنه يشمل العلاقات المتعددة لكل العلوم المعرفية، مما يتيح قراءة جماعية تعددية، تروض الأشياء الواضحة والكامنة، المنطوقة وغير المنطوقة المتوافقة والمتقابلة، المتناظرة والمتباينة، وبتطبيق عملي على النص الأدبي فإننا نرى أن: "كل قراءة تمثل وجهة نظر معينة، فهناك قراءة نحوية، وأخرى لغوية، وثالثة أسلوبية وغيرها"(١١).

ولكل علاقة دورها في تشكيل دلالة خاصة للعلامات، لذا فإن دلالة الأشياء لا تشكل في ذاتها، وإنما لابد من علاقات تحيلها إلى معانٍ واضحة بارزة، أو مستترة كامنة، تحتاج إلى جهد في استنتاجها وإدراكها، ومن ثم فإن النص الواحد متعدد القراءات، متعدد المعاني جمعي التأويل.

وفي البحث عن سيميائية الأعداد ودلالتها، فإن هذه الأعداد تعزى إلى مرجعيات دينية وشعبية وأسطورية ونفسية وغيرها. تحاول هذه الدراسة الكشف عن

ماهية العلاقات التي حكمت نشأة هذه الأرقام والأعداد، وصاغت عاداتنا وتقاليدنا، وأثر ذلك في حياتنا اليومية.

ثانيًا ـ مفهوم العددية لغة واصطلاحا:

لم تختلف المعاجم اللغوية في أصل لفظ العدد المكون من حرفين "العين والدال"، وهو "أصل صحيح واحد، لا يخلو من العد الذي هو الإحصاء، ومن الإعداد الذي هو تهيئة الشيء"(١٢)، ومنها لفظ "العدة" فهي من العدِّ بمعنى الإحصاء(١٣)، قال تعالى:﴿ **وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ** ﴾ (١٤)، وقال سبحانه: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ (١٥) أما "العدد" فهو الشيء الذي يأتي لوقت، مثل: الحمى (١٦).

ويذكر الفراهيدي أن اللفظ أصله "عددت الشئ عدا، حسبته وأحصيته(١٧)، وقيل العدُّ، إحصاء الشيء، عدة، يعده عدا وتعدادا(١٨)، وقيل عددت الشيء إذا أحصيته والاسم العديد، والعديد يقال: هم عديد الثرى؛ أى في الكثرة" (١٩).

أما المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ فلم يبعد عن هذا المعنى الجمعي، الذي يرتكز على الجمع والتجمع والتعدد، "هو الكمية المتألفة من الوحدات، وقد يطلق على كل ما يقع في مراتب العد.. وهو كمية الأشياء المعدودة جامدة، أو متحركة ويسمى بالعدد الأصلي، وقد يدل على ترتيبها فيسمى العدد الترتيبي"(٢٠).

وورد هذا اللفظ بتلك المعاني الموحية بالتعددية والكثرة في أكثر من موضع بالقرآن الكريم، بلفظه ومعناه: ﴿ **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً** ﴾(٢١) ﴿ **وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً**﴾ (٢٢).

وجاءت في بعض الآيات الكريمات بمعنى التهيئة والتجهيز؛ كقوله تعالى في سورة البقرة (٢٤): ﴿**واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ ﴿**وَاتَّقُوا النَّارَ الَتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾(٢٣) ووردت مشتقاتها في مواضع مختلفة؛ ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾(٢٤).

وذُكر لفظ "معدودة" مفردا تارة، وجمعا تارة أخرى، ﴿**وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً**﴾[٢٥]، ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ**﴾ [٢٦]، وذُكرت في آية أخرى وفقا للمعدود، ﴿ **وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ**﴾ [٢٧].

لقد كان للقرآن الكريم دور كبير في ترسيخ قيمة ومكانة الأعداد في الحضارة الإسلامية، وكثرت الأبحاث المتدبرة في إعجاز القرآن الكريم، من حيث اللغة والبلاغة وغيرها من أبواب المعرفة التي أتاحها إعجاز القرآن، ومن تلك العلوم الإحصائية والعددية التي أبرزت تناسق الموضوعات والتراكيب والألفاظ؛ بل وتجاوزتها للحروف والحركات، وكلها مصدر للتأمل والتدبر في خلق الكون واتساع رقعة الإنسان من التفكير والتحليل.

وقد ورد ذكر كثير من الأعداد في مواضع مختلفة من القرآن والسنة، وذهبت كل فئة لتأويل ذلك العدد والبحث عن سيمياء خاصة به، وفقا للعلم والمنهج الذي انتهجته هذه الفئة. فعلماء الاجتماع يعزونه لدلالة اجتماعية، وعلماء النفس لدلالة نفسية وعلماء الفيزياء لدلالة فلكية وهكذا.

وعلماء الدين نحوا به منحى صوفيًا، يتعمق في بواطن الأشياء وماهيتها، متجاوزين ذلك المعنى السطحي الظاهري.

وقد تباين العلماء في الغرض من ذكر تلك الأعداد دون غيرها في القرآن والسنة؛ مما أضفى جلالة وعظمة عليها، ورسخ مكانتها في المخيلة الشعبية، يمكننا إيجازها في الآتي: التشريع وتوضيح الحكم، وهو ما لا يقبل تأويلًا أو اختلافًا، ولا يتطلب اجتهادا "، وعدم اللبث والخلط، والمبالغة والتكثير؛ وهو ما لا يراد به حقيقة العدد، وإنما يهدف للكثرة، التي قد تكون بهدف الترغيب أو الترهيب، وكذلك التقليل والتنقيط، أو التفسير والتوضيح والتيسير بالإضافة إلى التقرير والتأكيد، وغالبًا ما تتعلق بالحقائق العلمية والظواهر الطبعية، ولاسيما تلك المتصلة بنشأة الخلق والكون، والتنبيه دون التحديد، والوصف الذي يهدف إلى تقريب المشهد للمتلقي، ولاسيما تلك المشاهد الغيبية.

ولقد كان حظ بعض الأعداد في القرآن والسنة وفير؛ حيث ذكر أكثر من مرة في أكثر من موضع، يوضح كل موضع سيمائية تلك العلائق بينها، والآيات الكريمات؛ فالألفاظ لا تحدد معانيها، أو دلالتها دون علاقتها بما قبلها وبعدها، وهو ما يُدعى بالسياق "إن معنى الوحدة الكلامية يعتمد بشكل جوهري على السياق"[٢٨]. وكان أبرز تلك الأعداد، العدد (واحد) و(اثنان) و(ثلاثة) و(تسعة) و(أربعين) و(مائة) و(ألف)، وسيرد ذكر دلالة بعضهم لاحقًا.

ورغم اتفاق الشعوب والدراسات في المعاني الخاصة بهذا اللفظ، بيد أنها اختلفت حول أصل هذه الأعداد، عربي أم هندي؛ فزعم كثير من الباحثين والدارسين أن العرب قد وصلوا إلي السند في أوائل القرن الثاني الميلادي، فلعلهم أدخلوا هذه الحروف، وجعلوا لها قيمة عددية، وأضافوا إليها فكرة التنقيط، وهي وضع نقطة تحت الحرف في حالة العشرات، ونقطتين في حالة المئات، ثم ثلاث نقط للدلالة على الألف، وبذلك فتح العرب في الرياضيات فتحًا عظيمًا، ولا يزال الهنود والفرنجة يدركون هذه الحقيقة، ويطلقون على هذه الرموز اسم الأرقام العربية.[٢٩]

وكثيرا مايخلط الفكر الجمعي بين الأرقام والأعداد؛ فيجعلونها لفظين لدلالة واحدة، فالتفت بعض الباحثين لذلك، وعكفوا على توضيح أوجه الاختلاف بينهما: "العدد ناتج عن عملية حسابية، يغلب عليه أنه يعقبه تمييز له، خاصة في الرياضيات التطبيقية، بينما الرقم مفرد، مجرد بذاته، فالأعداد التي نطلق عليها مجازًا (الأرقام) هي ليست كذلك، فكل رقم مثل الواحد أو الاثنين والثلاثة حتى التسعة، هي مجرد أسماء تدل على كينونة واحدة، وموقع واحد في التعدد، وناتج مجموع هذه الأرقام بالعمليات الأربع، وغيرها من العمليات الرياضية، هو ما نطلق عليه عدد"[٣٠]،

فالأرقام بهذا المعنى محددة، وهي العشرة أرقام من الصفر إلى التسعة، أما الأعداد فهي لا ينتهي عدّها، كما أجمع الباحثون بأن "لفظ "رقم" هو رمز من الرموز التي تمثل العدد، كالرمز (٣) في اللغة العربية، والرموز (3) في اللغات الأخرى"[٣١].

وكما ميَّز الدارسون بين الألفاظ الخاصة بالأعداد، فإنهم وجهوا البحث أيضًا للتميز بين العدد واسمه، وإن كان اسمه في الحقيقة هو دلالته، " فالعدد عند جميع النحاة هو الكمية، والألفاظ الدالة على الكمية بحسب الوضع، تسمى أسماء العدد"(٣٢).

ويشير الرضي في الكافية بأن اسم العدد غايته تحديد لفظه، وليس المقصود به تمييز ماهيته: "أسماء العدد ما وضع لكمية أحاد الأشياء، مقصوده تحديد ألفاظ العدد، لا ماهية العدد".(٣٣)

ويميز آخرون بين العدد واسمه من حيث دلالته على الإفراد والتثنية والجمع؛ "فالعدد في معناه العام يتضمن الإفراد والتثنية والجمع، وما يضاف من نحو، بعض وكل وأي، ويأتي من نحو: كثير وقليل – وهو – غير جميع النحاة الكمية، والألفاظ الدالة على الكمية بحسب الوضع تسمى أسماء العدد، ويدخل في ذلك الواحد والاثنان، ويخرج الجمع"(٣٤)، ثم إن دلالة العدد من حيث الإفراد والتثنية والجمع "دلالة غير مفرقة، مفرقة، بخلاف دلالة المفرد والمثنى والجمع، فهي دلالة مفرقة غير مقترنة"(٣٥)

أما الخلاف حول تذكير العدد وتأنيثه، فقد ذكر العقاد أن سبب هذا الخلاف، سبب معقول، " فالأعداد: واحد، اثنان، ثلاثة... مثل الحروف: ج، ح، خ، إذا أطلق العدد، فإنما يطلق للمذكر، كما هي القاعدة في كل اللغات، فإذا قلنا ثلاثة للعدد الذي وضع للرجال، يجب أن نغيره إذا أردنا أن نطلقه على المؤنث، وهذه قاعدة لغوية مقررة"(٣٦).

أما ألفاظ العدد فقد صنفت في اللغة صنفان؛ الأول صريح، وفيه يصرح بالعدد مثل واحد، اثنين، ثلاثة، ويقسمها النحاة إلى: أربعة أقسام اصطلاحية هي: العدد المفرد والمركب والمعطوف والعقد"(٣٧).

وأعداد غير صريحة، سواء دلت على معنى مثل: "النواة، الأوقية، النشر، الفرق"، أو لم تدل مثل: "كنايات العدد؛ لعدم التصريح فيها بلفظ العدد وأشهرها: كم، كأين، كذا".(٣٨)

ورغم ما تمثله الأعداد من أهمية في حياة البشر، وضرورة لاغنى عنها في التعاملات اليومية، غير أن الدراسات العلمية، تؤكد أن حاسة العدَّ عند القدماء (الإنسان البدائي)، لم تكن قوية، ولم تكن ذات شأن مهم لديهم، وهي ما تقارب شأن الأطفال الآن، فاستعان الإنسان القديم على تنمية حاسته العددية بوسائل شتى أهمها العدّ، ولاسيما العدّ على الأصابع(٣٩).

ولعل الأصابع لا تزال حتى عصرنا هذا، هي الوسيلة الأولى في تعلم العدّ، وخاصة مع الأطفال والأميين.

وبمرور الوقت وازدياد الحاجة إلى العد والأعداد، انتشرت في جميع اللغات والشعوب، لكنها اقتصرت على بعض الأعداد القليلة التي تفي بحاجاتها البسيطة: "فكانت الأعداد في اللغات العالمية بما فيها اللغة السامية مقصورة على واحد واثنين وكثير، كما يتضح ذلك في اللغة العربية، في أبواب المفرد والمثنى والجمع، ومازالت بعض القبائل المتوحشة تعد إلى الثلاثة، ثم تقف عند ذلك الحد، وتسمي كل ما هو فوق الثلاثة كثيرا"(٤٠).

بل إن هناك قليلا من القبائل البدائية مازالت موجودة، حتى عام ١٩٥٠م، في بقاع نائية من العالم، لم يتجاوز فهمهم للعدد مرحلة "واحد...اثنان.... كثير"(٤١) والبعض الآخر لا يعرف اسما لما بعد العدد خمسة "، وكل ما زاد على الخمسة يسمى عندهم بالكثير. ولعل بعضهم يعرف اسما للعشرة وللعشرين أيضًا، أما أسماء الأعداد المعروفة منا، فمجهولة لديهم"(٤٢).

وقد كان الدافع الرئيس وراء اهتمامهم بهذه الأعداد البسيطة هو محاولة تفسير القوى الخارقة للطبيعة، والتي تنعكس بدورها على الإنسان، وتوجه له حياته ومصائره، الآنية والمستقبلية.

ومهما كان الدافع فإن الأعداد في شكلها لا توحي بسيميائية معينة؛ بل تفرض الدلالة نفسها لارتباطها بعلاقة ما راسخة في الوعي الجمعي، قد تكون علاقة دينية أو أسطورية أو غيرها، تنعكس على سلوكنا وحياتنا.

المبحث الثاني

السيميائية العددية في الحضارات القديمة

استخدم الإنسان القديم الأرقام في صورة أشكال وخطوط رأسية وأفقية وصور لكل ما يحيط به من مفردات طبيعية وغير طبيعية، ودوَّنها على أروقة المعابد وحوائط القصور.

وكما اختلفت أشكالها وصورها من حضارة لحضارة، فقد اختلفت سميائيتها أيضًا ودلالتها من مجتمع لمجتمع، ومن عصر لعصر. لكن مما لا شك فيه أنها أسهمت بدور كبير في تقدم تلك الحضارات ورقيها.

أولًا ـ دلالة الأعداد في الحضارات القديمة:

إن المعارف والعلوم الخاصة بالرياضيات التي وصلت إلينا منذ القدم، كان مصدرها تلك النقوش التي عثر عليها داخل الكهوف والمعابد والقبور، وكذلك من خلال تلك المنشآت التي أسست لعلم الهندسة من خطوط ودوائر ومثلثات ومستطيلات.

وهو ما يعكس عبقرية الإنسان وقدراته الابتكارية منذ أقدم الفترات التاريخية، وهذا لا ينفي وجود فجوات واسعة في معرفتنا بأصول هذه العلوم الرياضية، وأسس نشأة الأعداد والأرقام، وكيف انتقلت من مجتمعات لمجتمعات بين رؤى منطقية مقبولة، ورؤى أسطورية تنتمي إلى ظواهر طبيعية خارقة، اضطر الناس للجوء إليها؛ والوقوف عاجزين أمام تلك الظواهر.

لم يقتنع الإنسان بمعالجة الأعداد معالجة عملية لحل مسائله الحسابية؛ بل حاول منذ أقدم الأزمان أن يرى في هذه الأعداد معاني حقيقية، تساعده على فهم الكون وعلاقتهم به، وجعل لكل عدد خواصًا وصفات يمتاز بها [٤٣].

وفي مرحلة أكثر تطورًا للإنسان الأول، أخذ يتغلب على العمليات الرياضية فينتقل بها من العمليات البسيطة إلى المعقدة، فحاول استخدام كل ما تصل إليه يداه

فاستخدم أجزاء جسده؛ كأصابع اليد والقدمين عند العد القليل الذي لا يتجاوز العشرة أو العشرين ثم العينين والأذنين والشفتين، وسخَّر كل ما يحيط به من مكونات طبيعية وغير طبيعية، كالثمار (التمر والتفاح والزيتون...)، وبعض الحصى، وقطع الحجارة والعصي والعيدان والصدف والخرز وغيرها؛ فبعض المجموعات تستعمل حزم العصى للتأهب لإحدى المناسبات في المستقبل، فالعدد المعلوم للأيام كان يعد عصا بعد الآخرى، ثم كانت تحذف عصا يوميًا إلى أن يؤتى على العصي جميعها (٤٤).

ولأن النظام العددي يقوم على التكرار، فإن هذه المجتمعات كانت ترتكز على تكرار هذه المفردات؛ فمثلًا تُستخدم أصابع اليد، ثم تتطور إلى الرُسغ فالكوع والكتف، ثم الأذن. فإذا ما انتهت تعود مرة أخرى بشكل تكراري، وكأنها وصلت إلى الرقم تسعة الذي نكرر بعده الأرقام للإشارة إلى التعددية.

وقد بدأت كل الشعوب أولى العمليات الحسابية شفاهية، قبل استخدام الكتابة، وحتى الأعداد المكتوبة مرت بمرحلتين مختلفتين من مراحل التطور، إذ إن كل مجموعة "متقدمة" من الأعداد المكتوبة، مثل: الأعداد البابلية، أو المصرية، أو الصينية، أو اليونانية، أو الرومانية، أو الهندوسية، سبقها أو عاصرها مجموعة أكثر "بدائية"، كان يستعملها الناس العاديون للمقايضة، أو لأغراض أخرى"(٤٥).

وفي الغالب الأعم كانت هذه الوسيلة هى الإشارة والرمز في العمليات الحسابية، بشأن سائر الأمور الحياتية الأخرى؛ "فليس من شك أن الإنسان ظل لفترة طويلة يتعامل بوسائل مؤقتة للتعبير عن الفكرة، ولعل من أبرزها استخدام الإشارات أو الرموز التصويرية لتحقيق التفاهم بين الأفراد، والإشارة باستخدام الرموز، أو العلامات التصويرية، قد تخدم الفكرة في لحظتها، ثم تنتهي الفكرة بانتهاء استخدام الإشارة"(٤٦).

وبتطور الحياة الاقتصادية للأسرة الأولى في التاريخ، لم يعد الهدف من هذه الأعداد والعمليات الحسابية، التي تتم بها هو تلبية احتياجاتهم المادية من طعام وشراب

وملبس؛ بل تجاوزتها إلى أمور سياسية كتسجيل انتصارات الحاكم، وتاريخ مولده ووفاته، وفرض الضرائب، وسن بعض القوانين التي تنظم الحياة السياسية.

وقد كان لهؤلاء الذين يستخدمون الأعداد في الحياة الدينية والعبادات المتعلقة بالآلهة وأنصاف الآلهة، فقد كان لهم التبجيل والتقديس بين الشعوب، مكانة تصل إلى مكانة تلك الآلهة التي هم على اتصال دائم بها كما يزعمون.

حتى إن بعض الثقافات أدرجت بعض الأعداد بألوهية الصنع والنشأة "ادعت أن بعض الأعداد من صنع الآلهة ذاتها"(٤٧).

واقتصرت هذه الوظيفة المرموقة في الدولة على الكهنة الذين يقومون بحراسة المعابد والطقوس، فكان "الكاهن يقوم بعمليات الرصد التي تستغرق بضع ساعات، أو عدة أيام، وربما تستمر لعدة شهور، أو حتى سنوات".... فتتراكم المعلومات لديه وتصبح حكرا لهذه الفئة "يوظفونها لمصالحهم الشخصية، وإخضاع الرعية لإرادتهم بوصفهم ممثلي الآلهة، أو أنصاف الآلهة، وعن طريق عمليات الرصد الطويلة للظواهر السماوية تمكن الفلكيون من التنبؤ بمستقبل بعض الحوادث الفلكية؛ كالتنبؤ بالخسوف والكسوف(٤٨)، وهناك أربعة أنشطة أساسية كان لهم دور كبير في تطوير العمليات الحسابية، وانتشار علم الرياضيات كعلم رئيس بين العلوم المعرفية، انعكس على العلوم الأخرى؛ "ابتكار النقود (خاصة المعدنية منها)، واختراع التقويم، وقياس الزمن واستعمال الأوزان والمكاييل" (٤٩).

وكان لازدهار الحياة التجارية والاقتصادية بفضل الاستقرار الزراعي دور كبير في تقدم الشعوب؛ حيث أصبح لهم ثروة يجب حسابها والحفاظ عليها، مما دعاهم لإنشاء الأسواق التجارية، والحوانيت لبيع الفائض عن حاجتهم، وشراء ما يعوزهم.

فاخترع السومريون الكتابة باستعمالهم رموزا لتسجيل كل من الكلمات والأعداد ومازالت الألواح الطينية السومرية والبابلية، شاهدا على هذا التطور الكبير في علوم

الحساب، وأن أكثر الاكتشافات التي تم استنباطها من هذه الألواح أن "البابليين استعملوا (جداول) لعدد كبير من الإجراءات: الضرب والقسمة والكسور والجذور التربيعية والتكعيبية"(٥٠).

وقد كان لعلم التنجيم والفلك دور كبير في تطور هذه المعارف الرياضية؛ حيث ربط البابليون بين الظواهر الطبيعية من عواصف وأمطار وزوابع وجفاف بالآلهة؛ بل إن فصول السنة والمواسم الزراعية تنظم من خلال الآلهة التي كانت تحدد الإجراءات الزراعية التي تلائم كلا من هذه الفصول. فمثلا كانوا يعتقدون أن "الفيضانات يتحكم فيها إلهان اثنان (تين – كيرسو) و"تيمات"، لكل منها نوايا(نيات) شريرة للجنس البشري"(٥١).

ومن هنا ظهرت فكرة الأجرام السماوية، وأن لها دلالة خفية تتعلق بمستقبلنا ومصيرنا، وظهر الكثير من النظريات والمعتقدات التي تبنى على فكرة مشتركة بين الحضارات؛ وهي أن وضع الأرض في مركز الكون بالنسبة للبابلين– ظنوا أننا موجودون في قلب قبة صلبة هائلة محاطة بالمياه، وثمة ثقوب في تلك القبة تسمح للماء بالتسرب والإمطار. وفي مصر، كانت السماء هي جسد الإلهة "نوت" والأرض جسد الإله "جب"، وبالنسبة للنجوم فهي نيران تركت الأرض، وارتفعت إلى السماء(٥٢).

كانت الأجرام السماوية بوجه عام مرتبطة بالإلوهية، وكانت الشمس تمثل الكثير من الآلهة، وفقًا لوضعها في السماء (خيبري) في الفجر، و(رع) في وقت الظهيرة و(أتون) ليلا. وكان القمر يمثل هو الآخر العديد من الآلهة (أه) و(توت) و(حونسو). وكان لكوكبة الجبار أهمية شديدة الخصوصية، وكانت ترتبط بأوزيريس الطفل الأول للإله (نوت) و(حب) وإله الموت والبعث. وكان موت أوزيرس وبعثه رموزا قوية – لفترة الجفاف السنوي في مصر، والذي يعقب دومًا فيضان النيل وخصوبة الأراضي(٥٣).

ومع تقدم علم التنجيم، والبحث في الأجرام السماوية العلوية – تأسس علم الفلك المعني بدراسة أحوال النجوم ومداراتها والأفلاك وحركاتها ودورانها[٥٤].

وانطلق البابليون مثل غيرهم يبدعون في العمليات الحسابية التي تفسر المستقبل، وابتكرت فنونًا كثيرة في هذا المجال؛ كفن "قراءة كبد الخراف"[٥٥] وحدد الفلكيون التجمعات النجمية على أنها "تمثل أشكالا لآدميين وحيوانات، فقام السومريون برصد ثلاثة من التجمعات النجمية، وأطلقوا عليها أسماء مثل: الثور والعقرب والأسد، ثم أضاف البابليون تسعة أخر"[٥٦]. وهي المنتشرة حتى الآن والمعروفة في الأوساط الفلكية بالأبراج السماوية.

أما المصريون فقد كان لديهم الكثير من المعتقدات والطقوس والعبادات المرتبطة بالظواهر السماوية والأبراج الفلكية، وما يعتريها من تغيرات وتقلبات، ومن أبرز تلك التصورات للعالم الآخر، أن جسد الآلهة "نوت" كان ممتدا فوق العالم مع انفراج الذراعين والساقين، بما يشكل القبة السماوية. وكانت الشمس تشرق كل صباح من اتجاه رحمها، وتغرب في نهاية اليوم داخل فمها، أما الإله "جب" إله الأرض، فينام أسفل "توت" زوجته وأخته"[٥٧].

ولم يكتف العرب المسلمون بتلك العلوم التي بُنى الكثير منها على التجريد والخيال، فقد كانت حضارة متطورة إذا ما قورنت بما سبقها من حضارات في شتى المجالات العلمية؛ لذا حرص المسلمون الأوائل على النهل من علوم الحضارات المجاورة مع تطويرها وتمحصها تمحيصًا دقيقًا، مستندين فيها على دعائم علمية وأسس حقيقية، بعيدة عن الأساطير والخرافات، التي اتسمت بها الحضارات الأخرى.

وتشير الأدلة التاريخية والأدبية إلى أن اهتمام المسلمين بالفلك كان "لأغراض دينية بالدرجة الأولى وعلمية وتنجيمية أيضًا"[٥٨]. وعرف عند المسلمين بأسماء عدة منها: (علم الهيئة)[٥٩] و(علم النجوم) و(صناعة النجوم) و(علم التنجيم)[٦٠].

وقد كان لهذا العلوم التنجيمية دور كبير في تطور علم الرياضيات؛ "فصناعة التنجيم هي جزء من أجزاء علم الرياضة"(٦١).

وقد كان لتشجيع الخلفاء والأمراء في الدول العربية الإسلامية، دور كبير انعكس على علماء الحساب والرياضة والفلك، فأجزلوا لهم الهدايا والعطايا، فراح العلماء يتنافسون في اكتشاف القوانين الرياضية من خلال العلاقات المتباينة بين الأعداد ويربطونها بالحياة اليومية (الاجتماعية – الاقتصادية –...).

وبرعوا في تصميم أدوات رياضية تساعدهم في استيعاب المهام الجديدة التي ظهرت آنذاك في المعاملات الحياتية، وكانت أشهر تلك الآلات التي استخدمت لمعرفة أهم أسس علم الفلك، وانعكس على علوم الرياضيات بصفة عامة "الإسطرلاب"(٦٢).

لقد بلغ اهتمام الملوك بالعلوم الرياضية والفلكية مبلغًا كبيرا، لأغراض دينية واجتماعية واقتصادية ونفسية، حتى إنهم خصصوا مجموعة من الكُتَّاب المهرة في هذا الفن؛ للتواصل الدائم مع الملك، وإطلاعه بالأخبار أولًا بأول، وأثر تلك التنبؤات على الحياة بكافة أوجهها: "بلغ اهتمام الملوك بالطالع إلى درجة تعينهم عددا من الكتبة المختصين والمؤهلين تأهيلًا عاليًا لتقديم التنبؤات والتقارير للملك بانتظام، بعد تثبيت إرصادهم لمطالع القمر والنجوم"(٦٣).

واستخدم هؤلاء الكتاب الفلكيون الأعداد المصرية مثلها مثل الكلمات المصرية تكتب من اليمين إلى اليسار، ويستخدمون أساليب حديثة في تدريس علم الحساب، من العدد واحد وحتى المليون، ولكل عدد رمزه الخاص؛ " فالواحد يُرمز له بورقة بردي، وللعشرة بشريط مشكل من ورقة بردي مثنية، وللمئة بما يبدو وكأنه قطعة من حبل، وللألف بزهرة لوتس، وللعشرة آلاف بثعبان، وللمئة ألف بفرخ الضفدع، والمليون بناسخ يرفع كلتا ذراعيه فوق رأسه، وكأنه في حالة ذهول"(٦٤).

لقد أبدع العرب في الفنون كافة والرياضيات خاصة، فابتكروا علوما جديدة لم يُسمع بها من قبل، كالجبر وحساب المثلثات والمتواليات، ووضعوا أسسًا ودعائم للهندسة التحليلية، بفضل عدد كبير من علمائهم الذين عكفوا على استنباط تلك العلوم كالخوارزمي وغيره، الذين اتخذوا من المنهج العلمي مصدرا لهم. "وقد عثر في بردية الكاتب المصري أحمس، التي يرجع تاريخها إلى خمسة آلاف سنة تقريبًا، كل هذه العمليات الرياضية"(٦٥).

أما في الصين فقد عُثر على خمسة أنماط من الأرقام، لكل نمط استخداماته الخاصة لأغراض معينة، أهم نوعين كانا "الأرقام العصوية (المشتقة) من العصي الخشبية التي كانت تمثل الأعداد على ألواح العد، والأرقام الأساسية، أما الأنواع الثلاثة الأخرى فكانت أرقامًا مشتقة على نحو متقن من النوعين السابقين مثل: "الأرقام الرسمية" المزخرفة التي كانت تستعمل في الأوراق النقدية والعقود ووثائق العمل(٦٦).

أما اليونانيون فقد كان النظام العددي لديهم محصورا في نظامين "الهيرودية Herodain نسبة إلى كاتب القرن الثاني بعد الميلاد الذي شرفها، ونظام الأعداد "الأتيكية" ATTIC نسبة إلى "أتيكا" Attica، وهي منطقة تقع حول أثينا؛ حيث استعملت هذه الأعداد استعمالًا رئيسًا هناك(٦٧).

وأخذت الأعداد مكانة كبيرة مقدسة لعدد كبير منها، وارتبط كل عدد بإله وبصفات إلهية، وتوسعت معاني العدد فشملت وحدات كثيرة مجمعة، وقدم الفيثاغوريون في العصر اليوناني ثلاثة تعاريف أساسية؛ أولهما: "العدد هو وفرة محدودة من الأشياء".

وثانيهما أنه: "مجموعة مكونة من تكديس الوحدات"، وثالثهما أنه: "جريان للكمية"، وهذه التعريفات الثلاثة هي المدخل لفهم الخطة المقدسة للآلهة(٦٨).

وكان للهندوس – أيضا – مساهمة كبيرة في علم الرياضة والهندسة؛ فقد عزى لهم الفضل في اكتشاف ثلاث قواعد ثابتة للرياضة، مازال يُعمل بهم حتى الآن[٦٩].

أولًا– استخدام رموز عددية خاصة غير مرتبطة بأي تأثير خارجي، مثل: الحروف الهجائية، أو صور أصابع اليد، أو القدم.

ثانيًا– استخدام نظام منازل، تتوقف فيه قيمة أي رقم على موضعه في رتبة (خانة) الآحاد أو العشرات أو المئات أو الألوف، هكذا.

ثالثًا– استخدام الصفر لبيان أن الموضع الذي يشغله لا يضيف شيئًا إلى العدد.

وفي مرحلة متقدمة من تاريخ الحضارات، أصبح علم الفلك وعلوم التنجيم شديدة الالتصاق بعلم الرياضة؛ بل ودافعًا من دوافع تطورها، واعتمدت هذه العلوم على الحساب العلمي الدقيق المبني على أسس علمية عقلانية، تبعد عن الخيال والأسطورة، حتى أصبح علماء الرياضيات هم أنفسهم علماء الفلك[٧٠].

وانتشر نظام الحساب الستيني الذي ربط بين علم الفلك وعلم الرياضة، وظل معمولًا به عقودا كثيرة[٧١].

وأصبح للعلوم الرياضية والأعداد دور كبير في تطور كافة العلوم الإنسانية، لا التطبيقية فقط، فامتزجت بعلوم النفس والاجتماع والسياسية والاقتصاد، فضلًا عن العلوم الطبية.

المبحث الثالث

السميائية العددية في الآداب الشعبية

يعد المعتقد الشعبي لدى الشعوب ظاهرة جماعية، يتفاعل معها أفراد المجتمع، وتحتل مكانة روحانية وقدسية كبيرة في نفوسهم؛ لذا حرصت الكثير من المجتمعات على ترسيخ تلك المعتقدات وتناقلها من جيل إلى جيل، من خلال الآداب الشعبية المختلفة: (حكايات شعبية – أمثال شعبية– أغانٍ شعبية – مواويل– ألغاز...).

ومعظم تلك المعتقدات بمنزلة سيميائيات لتلك القوى الخفية للكون المحيط بالإنسان من ظواهر طبيعية وطبوغرافية، تنعكس عليه وتشكل مصائره.

فتكشف تلك المعتقدات عن الأبعاد الثقافية لدى أفراد المجتمع بفئاته المختلفة وطبقاته المتنوعة، وتكمن أهمية المعتقد في قوة إيمان أفراده به، ذلك الإيمان النابع عن جلب منفعة، أو دفع ضرر.

وأكد السواح أن المعتقد لا يمكن أن يكون فرديًا، وذلك لسببين مهمين: "فأولًا من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، بما يستدعي ذلك من سلوك وأفعال، سوف تتضارب حتمًا مع ما يبادر به الآخرون، وثانيًا: أن دوام استمرار أي معتقد يتطلب إيمان عدد كبير من الأفراد به، وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى على نفس صاحبه"(٧٢).

والمعتقدات الشعبية تتعلق غالبًا بالعالم الخارجي؛ العالم فوق الطبيعي خاصة، فهي تنبع من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف والروائية والإلهام، أو أنها كانت أصلا معتقدات لنبي – إسلامية أو مسيحية – أو غير ذلك، ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة، بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال"(٧٣).

والمعتقدات الشعبية لا تُبنى على حقائق علمية؛ وإنما رواسخ وعواطف داخلية، يتم التعبير عنها بطرق مختلفة، تؤدي هذه الطرق دورا مهمًا في الربط بين الأجيال

وأفراد المجتمع، وهي سر قوتها وانتشارها: "المعتقدات تستمد قوتها من شيوعها وانتشارها"(٧٤).

لذا نلحظ أن المعتقدات الشعبية قد تتماثل وتتشابه لدى كثير من الشعوب، وذلك لارتباطها باللاوعي الإنساني في كل زمان ومكان، ويعبر عن سيميائية محددة، تعبر عن قيم معينة، تسود المجتمع الذي تمارس من خلاله.

وقد انتشرت الأعداد كرموز، لها سيميائيات مختلفة من مجتمع لآخر، فقد يكون لرقم سيميائية ودلالة في مجتمع ما، تختلف عنه في مجتمع آخر.

وسنلقي الضوء لمجموعة من أبرز الأعداد التي تكررت في الآداب الشعبية المتنوعة، من حكايات وأغنيات وسير ومواويل وأمثال شعبية، في محاولة للكشف عن سيميائياتها في تلك المجتمعات، وتلك الضروب من الآداب الشعبية.

أولًا ـ العدد ثلاثة:

يرجع الكثيرون الإيمان بسيميائية هذا العدد منذ عصور قديمة، وانتشاره في أماكن مختلفة الثقافة والجنس واللغة، إلى توافق مغزاه مع المعتقدات الدينية القديمة التي تشير في دلالته إلى الاتحاد والوحدة، فقد عُثر على مشط من عصر الملك "جت" آخر ملوك الأسرة الأولى، عليه نقش يصور الإله "حور" في ثلاثةِ أشكال مختلفة؛ حيث صور على هيئة ملك سماوي، وعلى هيئة ملك على الأرض، وأخيرا على هيئة صقر؛ أي ثلاثة أشكال لإله واحد"(٧٥).

وكان العدد (ثلاثة) دائما يشير إلى الجمع، مهما كان عدده؛ لذا فإنها لا تفسر دلالته إلا بجمع؛ لذا يقول ابن يعيش: "كان القياس أن يجعل لكل مقدار من الجمع مثالا يمتاز به عن غيره، كما جعلوا للواحد والاثنين... فلما تعذر ذلك؛ إذ كانت الأعداد غير متناهية الكثرة – اقتصروا على الفصل بين القليل والكثير، فجعلوا للقليل أبنية تغاير أبنية الكثير، لتمييز أحدهما من الآخر، والمراد بالقليل "الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وما فوق العشرة فكثير"(٧٦).

غير أن العرب تستعمل الجمع الكثير في موضع القليل، وتستغني ببعض الجموع عن بعض...فيقول " أبو حيان في معرض شرح الآية الكريمة: ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ (٧٧).

وتوجيه الجمع للكثرة في هذا المكان؛ ولم يأتِ ثلاثة أقراء – إلا من باب التوسع في وضع أحد الجمعين مكان الآخر، أعني جمع القلة مكان جمع الكثرة، والعكس وقيل وضع بمعني الكثرة، لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة قروء، وقيل: أوتر قروء على أقراء؛ لأن واحده قرء بفتح القاف، وجمع فعل على فعال شاذ(٧٨).

وإذا كانت العرب قد أوحت بهذا الرقم على الجمع ما كثر منه وما قل، بيد أن القرآن الكريم أشار به على الكثرة، فذكره جازما في مواضع لا تحتمل تأويلا؛ لأن الله هو الذي شرع هذا العدد، وحدده تحديدا إلزاميا، كتلك الآيات التي تتعلق بالميراث والفرائض والحدود: ﴿**فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ**﴾ (٧٩).

وفي سورة النساء يقول عز وجل: ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**﴾(٨٠).

وقال صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"(٨١).

وذكر هذا العدد العجائبي في مواضع أخرى غير جازمة للتقريب والاستحضار، كقوله تعالى:﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّهُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُو سَادِسُهُمْ**﴾(٨٢).

وأيضًا:﴿ **انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ**﴾ (٨٣).

وفي قوله صلى الله عليه وسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه ستر الله عليه كفنه وأدخله جنته: رفق بالضعيف وشفقه على الوالدين، وإحسان إلى المملوك"(٨٤).

وذكر بتصريفات مختلفة تجاوزت العشرين مرة لكل منها دلالته، فقد جاءت خمس مرات بلفظ (ثلاث)، واثنتى عشرة مرة بلفظ (ثلاثة) المؤنثة، ولفظ (ثلاث) ذكر مرتين، ومثله لفظ (ثالث)، أما (ثالثة) فذكرت مرة واحدة.

وإذا عُدنا إلى جذور هذا العدد في مصر القديمة، وبدايات استخداماته، فنجده يشير في مصر القديمة "للأسرة أساس وحدة المجتمع"[٨٥]؛ "فمن منطلق حبه للأسرة واستقرارها، أحب أن يحيا إلهه المحبب في استقرار، وأن يكون له زوجة وولد، يكون امتدادا له" [٨٦].

وتمتد فكرة النجاح لأي مجتمع ولأي عنصر من خلال العدد (ثلاثة)، في المعتقدات الشعبية بضروبها المختلفة كالحكايات والأمثال والأغنيات.

أولًا ـ سيميائية العدد (ثلاثة) في الحكايات الشعبية:

برز العدد ثلاثة في كثير من الحكايات الشعبية لفظًا أو حدثًا، في تأكيد واضح لسيميائياته المختلفة، داخل تلك الحكايات، وعلاقته بأحداث الحكاية وعناصرها الآخرى من زمان ومكان وشخصيات وغيرها.

فاستخدمت العديد من الحكايات الشعبية القديمة العدد ثلاثة، كما ورد في حكايات ألف ليلة وليلة، التي ارتكنت إليه في البنية العنوانية والنصية للحكاية، فلا يصرح بالعدد تصريحا؛ بل يعتمد على ثلاثة عناصر، أو أبطال، كما في التاجر (أيوب وابنه غانم وابنته فتنة)، (الثعلب مع الذئب وابن آدم)، (الحكماء أصحاب الطاووس والبوق والفرس، حكاية عبدالله بن فاضل عامل البصرة مع أخويه" [٨٧].

وانتشر أيضًاعدد كبير من هذه الحكايات يحمل الرقم (ثلاثة) عنوانا لها، مازالت تتردد في مجتمعات عدة، قد تتفق في دلالتها، وقد تختلف كحكايات: التلت فرخات، الثلال نعجات – التلت عنزات والديب – التلت بنات – التلت برابرة – التلت كلاب – التلت بنات والغولة، وغيرها الكثير من الحكايات [٨٨].

وقد لا تُعنّون الحكاية بالرقم تصريحًا، مثل حكايات: (البطة والعنزة والأرنب)، و(عايشة ومكية وسيسبانه)، و(الوزة والعنزة والجحش)، و(الفرخة والوزة والبطة).

تبنى هذه الحكايات على التبرك بالعدد ثلاثة، الذي هو ركيزة الاستقرار الحياتي، لا الأسري فقط، فتظل الحكاية تلهث وراء ذلك الاستقرار، من خلال الأبطال الثلاثة دائما، حتى يتحقق الهدف المنشود، وتجتمع الأسرة بعد نجاح الثالث المتمم والمحقق للاستقرار والهدف.

فيعتمد هذا النوع من الحكايات على أمر موجه من جهة علوية، وسلطة فوقية (آمر) إلى جهة أدنى (مأمور)، تمثل الثلاثة أرقام/ثلاث محاولات، قد تكون هذه الجهة إنسانًا أو حيوانًا أو جمادًا. ويكون الموت مقابلا للفشل، والحياة مقابلا للنجاح؛ فعلى سبيل المثال في حكاية (التلت بنات)، يطلب الملك/ السلطة العليا، من الفلاح/ المأمور، تحقيق رغبات ليست عادية، يعجز عنها الإنسان العادي، الذي لا يمتلك مهارات بعينها؛ كأن يأتي له بعد عدة أيام (راكبًا ماشيًا – عريانًا مكسيًا...)، وفي حالة عدم الاستجابة، يسيّف الملك رقبة الأب المسكين، فيحتار الأب، ويعود مهمومًا لبناته الثلاث، وقد ضاقت به الدنيا بما رحبت، فتفشل الأختان الكبيرتان / المحاولتان الأولتان، في إنقاذ الأب من مآذقه، لكن الطفلة الصغرى/ المحاولة الثالثة، تفاجئ الأسرة جميعا بحلول تخرجهم من هذه المآذق، التي سيدفع الأب حياته ثمنا لها إذا وقع فشلها.

وكل محاولة من تلك المحاولات التي قدمتها الأختان الكبريتان بمثابة رحلتين، تواجهان البطل بكل عوائقهما ومصاعبهما؛ حتى تصل تلك الصعوبات ذروتها في المحاولة الثالثة.

فتصعد أحداث الحكاية، وتزداد الحبكة تشويقا، فتكون الأكثر تعقيدا، والأبعد عن خيال المتلقي؛ لتكون هي بؤرة الضوء في الحكاية التي تتفتح عقدتها، وتصل إلى لحظة التنوير بتحقيق الهدف.

إن ذلك الاضطراب والتعقيد الذي يحدث في المحاولتين الأولتين، إنما هو اضطراب في البناء الكوني للحياة، لا يهدأ ويستقر إلا بعد تحقيق الهدف الذي يحقق الاستقرار وجمع الأسرة واستكانة الحياة مرة أخرى.

لقد كانت المحاولة الثالثة/ الحدث الثالث، سببًا في استمرار الحياة، وبدئها مرة أخرى بعد حياة مضطربة غير مستقرة، وهو تصور راسخ منذ القدم، فقد كان الثالوث في مصر القديمة، يمثل بين الآلهة، الأسرة المستقرة في الحياة، والكيان الأسري المتماسك في الحياة، والكيان الأسري النموذجي الذي يتمثل في: (الأب – الأم – الابن)، وهي تمثل أجزاء الجسد في مصر القديمة "البار (الروح) والكا (القرين) والأخ (الجسد).

وتكرار الحدث المتمثل في الفعل أو الظروف أو الاسم ثلاث مرات، إنما هو بلوغ للمقصد والمنال/ الاستقرار: (ومشينا مشينا مشينا، لحد ما وصلنا للمكان...)

(ولقينا نفسنا بعيد بعيد بعيد عن البيت...)، (والبت كانت حلوة حلوة حلوة، فقال لأمه أنا عايز أجوزها...)

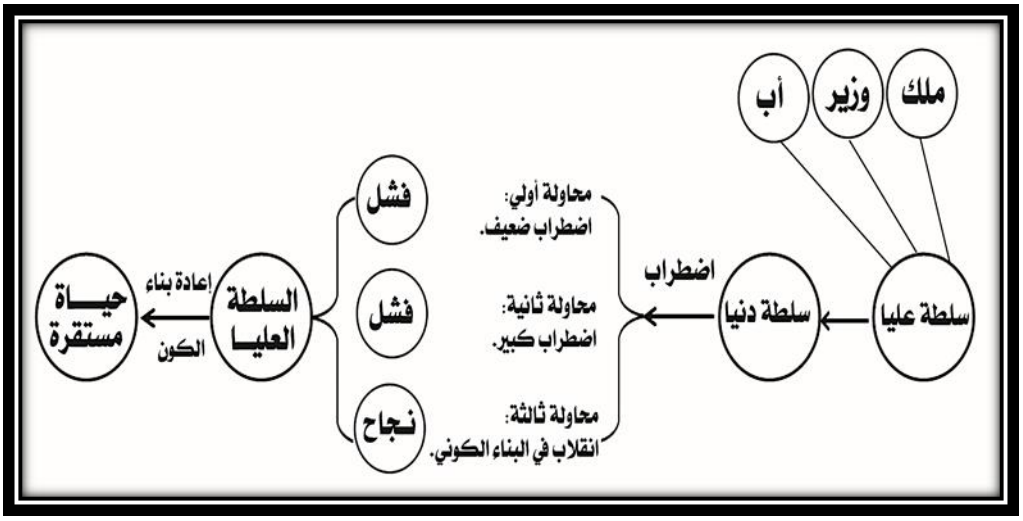

ثانيًا ـ سيميائية العدد ثلاثة في الأغنية الشعبية:

تعلي الأغنية الشعبية من قيمة هذا العدد الذي يرتبط بحياة الإنسان واستمراره؛ بل وتكوينه الفسيولوجي والنفسي، فهو معبر عن حياة الإنسان بمراحله المختلفة منذ الولادة وحتى الممات، ويعبر عما يجيش في صدره من أفراح وأتراح؛ لذا ارتبط بالأغنية الشعبية التي تحمل الخصائص ذاتها: "إنها تجسيد لعقل المجتمع وميوله الفكرية والأخلاقية"(٨٩).

فضلا عن موسيقاها، وهو ما يسهم في نشرها، وانتقالها سريعًا من جيل إلى جيل، إنها"الأغنية الشائعة، أو الذائعة في المجتمع، وإنها شعر الجماعات وموسيقاها الريفية، التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفوية، دون حاجة إلى تدوين، أو طباعة"(٩٠).

وقد غلب على بناء الأغنيات الشعبية استخدامها للعدد ثلاثة، كتيمة فنية لها سماتها الخاصة التي ترتكز على تكرار العدد ثلاث مرات، في إشارة لتكامل هذا البناء كتكامل الأسرة واستقرارها. ويكون ذلك بتكرار مقطع معين يعد الأساس في بناء الأغنية، وغالبا ما يكون هذا المقطع مذهبا للأغنية.

يا بتاع النعناع يا منعنع * * إشي جابك بلدي يا طماع
علي عينك ودني أبو تيج * * وألبسلك فستان العيد
وأنا وأنت في شوارع * * أبو تيج زرع النعناع
***

يا بتاع النعناع يا منعنع * * إيش جابك بلدي يا طماع
على عينك ودني مصر * * وألبسك فستان العصر
وأنا وأنت في شوارع مصر * * نتعلم زرع النعناع
***

يـــا بتـــاع النعنـــاع يـــا منعنـــع * * إيـــش جابـــك بلـــدي يـــا طمـــاع
علـــى عينـــك ودينـــي أســـيوط * * وألبســـلك فســـتان مظبـــوط
وأنـــا وأنـــت فـــي شـــوارع أســـيوط * * نـــــــتعلم زرع النعنـــــــاع

وفي أغنية شعبية أخرى:

دولا مين دولا مين
دولا أهلك يا عريسنا زى الشمع منورين
دولا مين ودولا مين
دول أهلك يا عروسة زى الورد مفتحين
دولا مين دولا مين
دول حبايب جايه تهني
ع الشمال وع اليمين

ومن أغاني الحنة التي تردد كثيرا في المجتمعات العربية، تعتمد فيهاعلى نداء أم العروسة الذي تكرر ثلاث مرات، والذي يعد مذهبا للأغنية، يردده الجمهور من خلف المؤدي:

يـــــا أم العروســـــه هـــــاتي * * ولا أنـت ناسـية إن الحنـه الليلـه دي
يـا أم العروسـة هـاتي الحنـه وقـومي * * عروسـتنا قالـت دا النهـارده يـومي
يـا أم العروسـة رشـي الملـح رشـي * * وقـولي لعروستنا معـاكي الـواد وقشـي

وكذلك في الاستعداد للزواج بتكرار الحث على الفرح (أفرحي):

أفرحـــــي يـــــادي الأوضـــــه * * جيـــــاكي عروســـــة موضـــــه
أفرحـــــي يـــــادي المنـــــدره * * جيـــــاكي عروســـــة ســـــكره
أفرحـــــي يـــــادي القاعـــــة * * جيـــــاكي عروســـــة الســـــاعه

وفي أغنية توحي بالزيادة والرخاء والرزق الكثير، وهي دلالة تعكسها تكرار جملة (الشجرة طرحت) التي تكررت ثلاث مرات:

الشـــجرة طرحـــت برقـــوق * * هـــــاي هـــــاي
وإللـــي بحبـــه جـــدع مـــرزوق * * وبلاســـه لاســـة نـــايلون
والشـــجرة طرحـــت رمـــان * * عنـــد بيـــت أم حنـــان
وإللـــي بحبـــه جـــدع عجبـــان * * وبلاســـه لاســـه نـــايلون
والشـــجرة طرحـــت تفـــاح * * عنـــد بيـــت أم صـــلاح
وإللـــي بحبـــه جـــاني وراح * * وبلاســـه لاســـه نـــايلون

وليس من الضرورة أن تبدأ بها الأغنية، فالجملة الأساسية التي ترتكز عليها الأغنية قد تأتي في مركز الأغنية:

يـــا عـــم يـــا صـــايغ * * شـــوف لـــي صـــيغتي
وارســـم لـــي فيهـــا * * عينـــي وكحلتـــي
وارســـم لـــي فيهـــا * * قـــورتي وقصـــتي
وارســـم لـــي فيهـــا * * بقـــي وشـــفتي

وقد يكرر الضمير الذي ترتكز عليه الأغنية، والذي يردد بواسطة الكورال المصاحب للمؤدي، أوالجمهور المتلقي للأغنية:

هـــو إللـــي نقاهـــا * * شـــرب الشـــاي وياهـــا
هـــو إللـــي خطبهـــا * * وفـــي عنـــد[٩١] النـــاس أخـــدها
هـــو إللـــي فلوســـه حـــلال * * واتجـــوز قبـــل الجـــدعان

وقد ورد اللفظ (ثلاثة) بمشتقاته صريحا في بعض الأغنيات للإشارة إلى الكثرة والتعدد، وقد توحي هذه الكثرة بالثراء أو الزيادة المادية أو المعنوية (كالجمال والذكاء والنسب وغيرها):

بنوتـــــــــه ع الكراســـــــــي * * ســـــندها يـــــاأم إســـــماعيل
لابســـــه **تلاتـــــــــه** صـــــافي * * **وتلاتـــــــــه** مشـــــخلعين
حلفـــــت بـــــراس أبوهـــــا * * مـــــا أبيّـــــت ع الســـــرير
لأبِيّـــــت فـــــي الجنينـــــة * * أكـــــل عنـــــب وتـــــين
مـــــين زرعـــــك ياعنـــــب * * مـــــين زرعـــــك يـــــاتين
زرعنـــــــي محمد باشـــــــا * * بالعـــــــده والمـــــــواتير[٩٢]
* *

وفي أغنية أخرى ليوم الحنة تذكر أيام الأسبوع ومنها يوم الثلاثاء:

بربر الحنه يا غالي بربر الحنه
تعالى يوم **التلات** وأخدوا وأتحنى
واحني البنات ببربر الحنه
تعالى يوم الخميس بربر الحنه
تعالى يوم الخميس، وأنا أخت العريس
أخدوا واتحنى، واحني العريس بربر الحنه.

وهي تشبه أغنية (أنا ريته) التي توحي بالشمول والعموم والكثرة، فكأن المحبوبة تشير إلى أنها تراه في كل يوم:

وأنا ريته في سوق الخميس
مسوِّق ومعاه رميس
يارب بعد عنه إبليس
يتسوِّق ويروّح لأمه

وأنا ريته في سوق **التلات**
متسوِّق ومعاه نجعات
يارب تبعد عنه الغفلات
ويتسوِّق ويروّح لأمه
***
وأنا ريته في سوق الاتنين
متسوِّق ومعاه معزيتين
يارب إبعد عنه العين
يتسوّق ويروّح لأمه
***
وأنا ريته، وأنا ريته
والبناع يبني في بيته
ماسك الحمام ع يدبح
يأكلني وعمه ضيفه.

ورغم أن تكرار العدد ثلاثة، في بناء الأغنية لا يعد كثيرا من حيث تكرار المقاطع أو الكلمات إذا ما قورن بنظيره من الأعداد الفردية، فهو ممثل للأغنيات الشعبية القصيرة، بيد أنه يعطي دلالة واضحة على الشمول والكثرة المعنوية لا العددية، التي توحي بالرضا والاستقرار.

ثالثا ـ سميائية العدد (ثلاثة) في الأمثال الشعبية:

ما أكثر الأمثال الشعبية التي اعتمدت على العدد (ثلاثة) في شكلها ومضمونها.

فارتكزت كثير من الأمثال على ثلاثة قوالب/ ثلاث كلمات، تمثل كل كلمة حجر أساس في بناء المثل. وهو نوع من البلاغة المحببة لدى المتلقي، تتمثل في

الإيجاز، فتمثيل حالة بحالة في ثلاث كلمات/ يعد قالبا من الإعجاز البلاغي واللغوي، وبناء متناهي الدقة والجمال؛ لذا فقد قالوا قديما إن: "الكلام إذا جعل مثلا كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث" (٩٣).

وعرف أحمد أمين المثل بأنه "نوع من أنواع الأدب، يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى، ولطف التشبيه، وجودة الكناية، ولا تكاد تخلو منه أمة من الأمم ومزية من الأمثال، إنها تنبع من كل طبقات الشعب" (٩٤).

ويبرز جمال المثل في عدة أوجه منها:

١- إيجازه واقتضابه.

٢- خلاصة تجارب مهمة، تصاغ في كلمات موجزة.

٣- التلميح وعدم التصريح، فهو تعتمد على التعبير غير المباشر في التشبيه والمماثلة.

٤- اعتماده على المقابلات والتناقضات التي توضح جمال الحال وبلاغته: "اللي تعوفه تعوزه – اللي تزرعه تقلعه – أعمش وعامل صراف – آخر الحياة موت – اللي ينشري ما ينشهي".

٥- التناغم الموسيقي الذي يطرب الآذان، ويرسخ الأقوال.

مما يجعل المثل الشعبي أكثر ضروب الأدب الشعبي انتشارا، وتداولا بين الشعوب والمجتمعات كافة.

بُنيت كثير من هذه الأمثال على الثلاثة قوالب الأساسية، والتي لا يجوز حذف أحد أركانها، فكل قالب يرتكن عليه معنى المثل. اعتمدت هذه القوالب في تشكيلها على التناقض والمقابلة؛ للفت انتباه المتلقي بصناعته، لتلك المفارقة بين حالة وحالة، ومن هذه الأمثلة:

- باب النجار مخلع.
- إيش جاب لجاب.
- إللي فات مات.
- أعور وعامل قيده.
- أعمش وعامل صراف.
- إللي وقع يصلح.
- حلم الجعان عيش.
- حسنة وأنا سيدك.
- بصلة المحب خروف.
- البركة في اللمة.
- بنت الفارة حفارة.
- شمسك نص الليل.
- يعمل الحبة قبة.
- عمشة وعاملة مكحلة.
- النار تخلف رماد.
- نوم الظالم عبادة.
- من خاف سلم.
- من غيطه بلاش.
- من فاتك فوته.
- الخسارة تعلم الشطارة.
- الدين سواد الخدين.

- إللي فيها يكفيها.
- آخر الزمر طيط.
- آخر الحياة موت.
- إللي يتفكر يتعكر.
- ابن الحاكم يتيم.
- الحيطان ليها ودان.
- بيِّن حقك واتركه.
- تعرج قدام مكسح.
- الزين مايكملش.
- الساكن عدو مساكن.
- الشرا يعلم البيع.
- شرارة تحرق الحارة.
- عين الحب عميه.
- عليل وعامل مداوي.
- الهروب نص الشطاره.
- من تعب ارتاح.
- من داق عرف.
- من رش دش.
- جايكحلها عماها.
- الدخان القريب يعمي.
- المتغطي بيه عريان.

وهناك الأمثال الثلاثية التي تُبنى على التقرير، وتسري مسرى الحكم، وفي معظمها تهدف للنصح والإرشاد؛ سعيًا للاستقرار والوحدة.

- الصبر مفتاح الفرج.
- عيب الرجال قلتهم.
- صاحب بالين كداب.
- كبير القوم خادمهم.
- العجلة من الشيطان.
- الكثرة تغلب الشجاعة.
- العمر موش بعزقه.
- عيب الراجل جيبه.
- سلاح الضعيف الشكية.
- ذنبه على جنبه.
- صاحب المال تعبان.
- كرامة الميت دفنه.
- الضرورة ليها أحكام.
- تغور العورة بفدانها.
- الجعان يمضغ الزلط.
- كل شيء بأوان.
- مسير الحي يتلاقى.
- الكدب مالوش رجلين.
- وعد الحر دين.
- طاعه اللسان ندامه.
- موت وخراب ديار.
- الحيه تخلف حويه.
- النهار له عنين.
- الجار أولى بالشفعه.
- عيب الكلام طوله.
- تضرب القطة تخربشك.

وبُنيت كثير من الأمثال الثلاثية على تيمة الجناس بنوعيه: (التام، والناقص)، سعيا وراء انتشاره، ورسوخه في أذهان وقلوب المتلقين:

- الجوده بالموجود.
- الحسن أخو الحسين.
- بفلوسك حين ضروسك.
- شرط المرافقه الموافقه.
- البركه تحت الفلكه.
- مالها إلا رجالها.
- وردة وجنبها عقربه.
- زيك زي غيرك.
- زيادة الخير خيرين.
- إللي تعوفه تعوزه.
- إللي تزرعه تقلعه.
- إللي حسبناه لقيناه.

وصُرح بالعدد (ثلاثة) ومشتقاته، في بعض الأمثال القليلة، التي تنوعت في توظيفها له بين الكثرة والقلة:

- السر بين اتنين درج، وبين تلاتة فتح الباب وخرج.
- السر بين اتنين، وإن جا التالت فسد.
- في فرحكم أبص وأرجع، وفي غمكم لي التلات والأربع.
- الشهر تلاتين يوم، والناس تعرف بعضها من زمان.

لقد مثَّل العدد (ثلاثة) منذ القدم الكثرة والتعددية، لكنه أشار إلى بلوغ الاستقرار الذي لن يتأتي إلا بوجود ذلك الثلاثي، الذي يمثل أساس بناء الكيانات والمجتمعات.

رابعًا ـ سيميائية العدد (ثلاثة) في الألغاز الشعبية:

لقد ارتبط اللغز ببداية الإنسان ونشأته، وهو يفكر ويتدبر في شأن الكون وظواهره التي أدهشته، ووقف عاجزا عن تفسيرها وأسبابها، فوجه عدة تساؤلات لنفسه، وسخر حياته للبحث عن أجوبتها، وحل غموضها.

واللغز يتجاوز ظاهره البسيط، الذي يحمل سؤالًا وجوابًا، إنه مدرسة تربوية فنية متكاملة، تحمل خصائص فنون الأدب الشعبي كافة.

ويذكر ابن منظور أن اللغز يقال بأوجه مختلفة: اللُّغَز واللَّغَز واللغز، واللغيزي الإلغاز كله، وهو حفرة يحفرها اليربوع في حجرة تحت الأرض، وقيل: هو حجر الضب... وسمى بذلك لأن هذه الدواب تحفره مستقيمًا إلى أسفل، ثم تعدل عن يمينه وشماله، عروضًا تعترضها تعمية؛ ليخفي مكانه بذلك الإلغاز والجمع ألغاز، وهو الأصل في اللغز..." (٩٥).

نشأ اللغز منذ قديم الزمان حينما كان العقل البدائي يمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به؛ ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نضارة، ازدادت الرغبة في إدراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة، وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان" (٩٦).

يدل ذلك على تطور الفكر البشري منذ خلق الإنسان، الذي استطاع أن يوجه لنفسه الأسئلة، ويسعى لحلها، حتى وإن كانت تلك الحلول غير منطقية، لكنه لم

يستسلم أمامها، ولم ييأس من المحاولات، التي كانت أساسًا في بناء العلم الحديث، ولاسيما علاقة الظواهر الطبيعية المحيطة بالأعداد والأرقام، فارتبط كل عدد بمجموعة من الظواهر والمعتقدات، التي رسخت حتى عصرنا هذا في كثير من المجتمعات، وابن الأثير يرى أن الهدف الأساس من وضعه هو أنه: " يشحذ القريحة، ويحد الخاطر؛ لأنه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها إلى توقد الذهن، والسلوك في معاريج خفية من الفكر، وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا منه"(٩٧).

لقد استطاع اللغز منذ نشأته أن يصنع لنفسه قالبًا فنيًا شعبيًا مستقلا، له خصائصه وسماته، بيد أنه تداخل مع كثير من الفنون الأدبية الشعبية الأخرى؛ كالحكاية الأسطورية والخرافية والواقعية والسير الشعبية، لكنه لم يأت بهدف البحث عن إجابة مباشرة، يدركها المتلقي عقب إلقاء اللغز، لقد كانت رحلة بحث وكفاح وعلم، يكون اللغز هو الركيزة الأساسية في بناء هذا النوع من الحكايات، وفيها تقوم جهة سلطوية عليا (أب – وزير – ملك) بطرح لغز غامض على جهة دنيا، تتطلب إجابة لن تتأتى إلا بعد رحلة طويلة من المشقة والمعاناة، يقطعها البطل، ويتعلم خلالها دروسًا حياتية متعددة، "مسألة محيرة تتطلب التفسير".(٩٨)

ودائما يقابل إجابة السؤال، النجاة من الموت، والفوز بالمُلك، واعتلاء المملكة؛ لذا يعد الوصول إلى الإجابة هو لحظة التنوير التي تختتم بها الحكاية، كالأب الذي طلب من ابنه أن يجوب البلاد باحثًا عن إجابة لسؤاله (إيه أخف الخفيف واتقل التقيل و....)، وقد تكون السخرية والمزاح من أهم دوافع إلقاء اللغز، ولا سيما في الحكايات الشعبية التي اتخذت من اللغز أداة للتعجيز والانتقام فتسخر السلطة العليا من الفئة الدنيا موجهة له ألغازا تعجيزية، لكن الله يسخِّر له من يعينه على الوصول إلى غايته، وحل تلك الأسئلة المعقدة، كما وجه الوزير للفلاح الفقير، بأن يأتي له بـ (فرخة مدبوحة تقول كاك كاك)، وطلب من الرجل البسيط (أبو البنات) أن يأتي له بحكاية أولها كذب وآخرها كذب"(٩٩).

وقد جمعت الألغاز عددا كبيرا من الأهداف والغايات؛ منها نفسية واجتماعية وتاريخية، بالإضافة إلى أهدافها التربوية والترفيهية، فهي قادرة على إيقاظ العقل ولفت الانتباه، فهو وسيلة تربوية غير نمطية، ترتكز على الرمزية، لا المباشرة، ويرجع جمال اللغز إلى عدة أسباب أهمها:

***الإيقاع الصوتي الذي ينتج عن السجع، أو الجناس بنوعيه:**

- اتنين ماسكينها وتلاته مكتفينها.
- تلاته مع تلاته، كل ما عديت سبعه بقيوا سبعه.
- بلطوا متين، وزرايره تلاتين.
- **بالإضافة إلى ما يحدثه التشبيه من مقاربة بين شيئين، أو مقارنة بين حالتين:**
- تلت كلاب بيجروا ورا بعض، ما قدروش يطولوا بعض.
- حاجة بنشوفها بالليل تلت مرات، وبالنهار مرة واحدة.
- **وقد يرتكز اللغز على التقابل المعنوي الذي يقرِّب المعنى ويبرزه:**
- حاجه برجل واحده، وتلت عيون.

لقد قامت الألغاز بصفة عامة على العلاقات الخفية والغامضة بين الأشياء، يحاول الناظم لها أن يكشف عنها ويلقِّنها للمتلقي بشكل غير مباشر، يعتمد فيه على إعمال العقل، وصقل الذهن، ويزداد ذلك الغموض باستخدام تلك الأعداد ذات الدلالات المختلفة.

سميائية العدد (٧) في الأدب الشعبي

لم يحظ عدد باهتمام وقداسة، كما حظي العدد سبعة منذ القدم؛ ذلك لارتباطه بنشأة الكون واكتمال الحياة، ومن ثم لا تكتمل عناصر إتمام الشيء إلا إذا بلغ العدد (سبعة)، أو سعى لبلوغه.

وقد تشابهت سميائية هذا العدد في كثير من الحضارات القديمة؛ بل وتناقلت دلالته عبر الحضارات لأحقاب كثيرة، لا تزال روافدها باقية حتى عصرنا هذا.

وربطت كل الحضارات نشأة هذا العدد بنشأة الكون وعناصره، وجعلوه أساسًا لبنائه بكل مفرداته من بحار وجبال وكواكب وسموات وأراضين. فقد اعتقد العرب قديمًا أن الأرض المسكونة سبعة أقسام؛ "إن الربع المسكون من أقاليم الأرض، قسم سبعة أقسام، كل قسم يسمى إقليمًا، كأنه بساط مفروش من المشرق إلى المغرب... ثم إن هذه الأقسام ليست أقساماً طبيعية، ولكنها خطوط وهمية، وضعها الملوك ليعلم بها حدود البلدان والمماليك، مثل أفريدون وإسكندر وأرد شير"[١٠٠]، ويقول القزويني في تفسير قول الله عزوجل:" الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن".[١٠١] إن الأولى كرة النار، والثانية كرة الهواء، والثالثة كرة الماء، والرابعة كرة الأرض، وثلاث طبقات ممتزجات بين الأربعة: الأولى بين النار والهواء، والثانية من الهواء والماء، والثالثة من الماء والأرض ثم دبر بعنايته بعد الجماد أمر المعادن الداخلة في الجماد، ثم النبات ثم الحيوان. هذا هو القول الكلي في المخلوقات"[١٠٢].

وفي سفر التكوين اكتملت السموات والأرض وكل جندها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه استراح فيه من جميع عمله الذي عمل الإله، الأرض والسموات"[١٠٣] وظنوا أن أول من علَّم الخلق تعمير الكون والأرض، كان الحكماء السبعة الذين بعثهم إله الحكمة (أبا)، في أزمان ما قبل الطوفان، على هيئة أشكال السمك، متوجهين من مياه العمق (الأسبو)، ليعلِّموا الناس فنون الحضارة" [١٠٤]، وبذلك فقد مثَّل العدد " سبعة " اكتمال الحضارة؛ بل اكتمال الحياة، فنسبوا إلى هذا العدد كل شيء مكتمل لا يجوبه خلل، وفي مقدمتها الآلهة القديمة؛ فجعلوا حتحور وماعت التي يرمز إليهما من خلال سبعة أضعاف العدد سبعة. وهناك – أيضاً – القضاة الاثنان والأربعون المكلفون بمحاكمة المتوفين... كما يمثل العدد سبعة حالة الأقمار؛ أي أكثر مظاهر القمر فاعلية (هلال)" [١٠٥].

أما في المسيحية واليهودية فقد أوحى الرقم سبعة بفيض من التعظيم والمبالغة والتهويل. فعندما يهدد الإله "يهوه" بأنه سينزل عقاباً "سبعة أضعاف" على من يتحداه، فإن المعنى رمزي، وهو أن العقاب سيكون دماراً شاملاً، وفي مزامير الكتاب المقدس، من إشارات يهودا، نور "تقي سبعة أضعاف"، يخرج من الأرض وفيه دلالة على شدة النقاء(١٠٦).

أما في الديانة الإسلامية، فقد كان للرقم " سبعة " ومشتقاته حضور متميز، سواء أكان بصيغة المذكر أو المؤنث، فقد حمل هذا العدد سيميائية دينية وتاريخية وأسطورية، ترتبط بكل مفردات الكون المرئية وغير المرئية؛ فيذكر القرآن أن لجهنم سبعة أبواب: "وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ، لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ"(١٠٧).

وفي موضع آخر يقول عز وجل: **" أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً"** (١٠٨).

وقد تكررت كثيراً في القصص القرآني بدلالات مختلفة، وفقا للصفة المروية وزمن روايتها: "**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** "(١٠٩).

وفي تفسير سيدنا يوسف عليه السلام، فقد ذكر العدد سبعة بدلالة زمنية، فقد أحال دلالتها الحسية / البقرات، إلى دلالة عددية / السنوات: " **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيًا مِّمَّا تَأْكُلُون ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ** " (١١٠).

وذكر في قصة عذاب قوم سيدنا هود (١١١)، وقصة أصحاب الكهف(١١٢) التي اختلف حول عددهم، وذكر مضاعفاتها كثيراً (سبعون) وسبعمائة، وسبعة عشرة، وكلها دلالات على التضعيف والزيادة: " السبعة والسبعون فيه دلالة على تضاعف القوة

والشدة، كأنه ضوعف سبع مرات. ومن شأن العرب أن يبالغوا بالسبعة والسبعين من العدد لما في ذكرها من معنى المضاعفة" [١١٣]، وأكد ذلك ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) بقوله: "وقد تكرر ذكر السبعين، والسبعة والسبعمائة في القرآن والحديث، والعرب تضعها موضع التضعيف والتكثير" [١١٤]، وقوله: "واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا" [١١٥].

وقوله عز وجل موجها خطابه لنبيه الكريم:" إن تستغفر لهم سبعين مرة، فلن يغفر الله لهم " [١١٦].

وقد تكون المبالغة بغرض الترغيب أو الترهيب، كمافي قوله صلى الله عليه وسلم: " الربا سبعون حُوبا " [١١٧] أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله أيضًا صلى الله عليه وسلم: " إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار".

ويرمز العدد سبعة عند الصوفيين إلى " سبعة من الرجال يسمون بالبدلاء الأفراد، إذا سافر أحدهم عن موضعه، ترك فيه جسدا على صورته، بحيث لا يعرفه أحد أنه فقد، وهذا البدل في تلبسه بالأجساد والصور على قلب إبراهيم عليه السلام"[١١٨].

وإن هؤلاء الأبدال السبعة يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة للكون، ومن شأنهم العلم، بما أودع الله تعالى في الكواكب السيَّارة من الأمور و الأسرار، في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة... وهذه الأقاليم السبعة على صورة تركيب السموات السبع... [١١٩].

هذا بالإضافة إلى دلالته في العبادات والحكمة من تكرار الفعل/ الحدث سبع مرات، فإذا رمى في الحج، ألقى سبع حصيات، وفي الطواف يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، وإذا ولغ الكلب في إناء، لا يأكل منه المسلم قبل غسله بالتراب سبع مرات.

لقد رسخ القرآن الكريم وسنته الكريمة، وقصصه النبوي، في عباداته ومعاملاته، تلك المكانة الخاصة لهذا العدد الأسطوري، وجعله محل اهتمام المسلمين في كل أفعالهم، حتى وإن كان قياساً غير واردٍ في مورد موثق. فيتفاءل المسلم بتكرار الفعل سبع مرات، إيمانًا بمكانة هذا الرقم، وإن لم يرد بشكل صريح في مصدر من مصادر التشريع الديني.

سيمائية العدد (سبعة) في الأدب الشعبي.

لقد حظى هذا العدد بمنزلة خاصة لدى الشعوب، على اختلاف معتقداتها وثقافاتها وأديانها و أطيافها؛ وذلك لارتباطه ببيئة الإنسان التي تحدد ملامح حياته الآنية والمستقبلية، فهو المتمم لكل الأحداث المهمة والجليلة في حياة الإنسان، كما كان المتمم لاكتمال عناصر الكون من سماوات سبعٍ، وأراضين سبع، وجنات سبع، ونيران سبع، فضلاً عن الوحدانية التي لا تتم إلا بنطق الشهادة، التي تتكون من كلمات سبع: (لا إله إله الله، محمد رسول الله).

ومن هنا اتخذت سيميائية هذا العدد منحى الكمال والإتمام لكل شئ، وما عداه خلل ونقص في كل شيء.

أولاً- سيميائية العدد (سبعة) في الحكايات الشعبية:

حملت الكثير من الحكايات الشعبية العدد سبعة عنوانًا لها؛ لما له من أهمية وقداسة، وربما تفاؤلاً بهذا العدد، الذي يوحي بالكمال، وعدم النقص والعوز.

وكان البطل (نص نصيص وإخواته السبعة)، من أشهر تلك الحكايات التي تتردد في المجتمعات كافة بأشكال مختلفة، ومضمون واحد يقوم على اكتمال هذا الإنسان غير المكتمل البنيان، الذي وُلد نتيجة اشتهاء الأم لتفاحة، لكن الأب يأتي بنصف تفاحة فقط، فيولد إثرها ذلك الإنسان الناقص (النص نصيص)، ليتفوق بمهاراته وذكاءاته المتعددة التي يقف الجميع أمامها في ذهول، ليتفوق على إخوته التامين المكتملين.

حتى إنه كان يتفاخر بذلك، ويقول: " أنا نص نصيص، أرقص بالسيف، واتمختر على السور، يا حلاوة يا ولاد، يا حلاوة يا ولاد". والتيمة المتكررة في تلك الحكاية، هي انتصاره على ذلك المخلوق الأسطوري، الذي يعُجز الجميع، وهو الغول الداهية، الذي يستخدم الدهاء والمكر لصيد فرائسه. وهي الوسيلة ذاتها التي يستطيع (نص نصيص) النجاح بها، والتغلب عليها، وفصل رأسها عن جسدها، وتقديمها لإخوته الستة الذين يذهلون من ذكائه وقدراته، وربما تلك القدرات هي انعكاس لتلك (السبعية) التي مثلها (نص نصيص) بكونه الابن السابع للأسرة.

إن هذه القوى التي يتمتع بها(نص نصيص)، إنما هي قوى استمدها من سحرية العدد (سبعة)، التي يحويها بين طياته، والتي تنعكس على أي عنصر سابع، مهما كانت مؤهلاته غير مناسبة، شكلًا (كالطول والعرض والحجم)، والمضمون؛ كالفئة والجنس وغيرها من السمات المعروفة لأبطال الحكايات الشعبية، وهو ما يتماثل مع البطلة (كمونة) في حكاية " كمونة وولد السلطان "، التي رزق بها الرجل الفقير ليختم بها سلسلة من البنات (سبع بنات)، كانت آخرهن كمونة، ذات الجسد النحيف القصير؛ لكنها تملك ذكاءً يعوض ويتمم كل شيء ناقص، وكل معضلة تواجه العائلة، وتتسبب في اضطراب البنيان الأسري والعائلي، فلا يستقر الكيان ويتم إلا من خلال البنت السابعة، بقدراتها الخارقة.

فقد استطاعت كمونة مواجهة أوامر الملك المستحيلة، التي تعد ضرباً من المستحيل، بذكاء غير تقليدي، مكنّها من اجتياز تلك المستحيلات، أكثر من مرة، انتصاراً لتلك القوى الخارقة، التي استمدتها بكونها السابعة.

وكذلك تنتقم الأخت السابعة (الصغرى) من الغول الذي التهم إخوتها الست بالخديعة والمكر، في حكاية (الغول والسبع بنات)، فتستخدم الحيلة ذاتها، وترتدي ملابس بائع خردوات، وتركب الحمار، وتنادي على بضاعتها أمام بيت الغولة " أنا معاى كل حاجة، أحلى حاجة، سلاسل وفلايات وحاجات حلوة كتير..."، وعندما يقترب

الغول لمشاهدة البضاعة، تقفز الابنة السابعة، وتدخل الغول في (الجوال)، وتُحكم إغلاقه، وتذهب به إلى البيت؛ لتشق بطن الغول، وتُخرج إخوتها مرة أخرى إلى الحياة. وهناك نمط آخر من الحكايات، استخدم العدد (سبعة) بشكل دائري، يتمثل في الحكاية الدائرية / الإطارية التي تنتهي بما تبدأ به، وتبنى كل حدث حتى الحدث السابع على ما قبله؛ ليكون نهاية الحلقة الأولى، بداية للثانية، ونهاية الثانية بداية للثالثة... حتى السابعة التي تكمل السلسلة، وتعود بنا إلى الحلقة الأولى مرة أخرى.

وتمثل ذلك النوع من الحكايات، حكايات كثيرة، أبرزها " أبو فصادة والعصفورة"؛ حيث تطلب العصفورة المسكينة من أبي فصادة أن يرد إليها (ذويلها) الذي سرقه منها، فيسخر أبو فصادة، ويستفز العصفورة بطلبات مقابل حصولها على ذيلها: روحي هات لي شوية غلة، فتذهب للعلاّف، وتطلب الغلة، فيطلب منها بنتًا من البنات التي تُغني أمام الزير، فتطلب البنات (بق مية) من الزير، فتذهب للزير فتجد الحارس، وتطلب منه الماء، فيطلب منها (طخ نق) من شجرة النبق، فذهبت للشجرة، فوجدت أسدا أمام الشجرة، طلبت منه (طخ نبق)، فطلب منها خروفًا من الغنّام. فطلب الغنَّام بعد سماعها كلبًا من الكلاب المولودة حديثاً، وطلبت الكلبة الأم (بتاوة) من الخبازين، حتى تطعمه لأولادها الصغار، وتعطي العصفور كلباً صغيراً.

فأعطاها الخبازون (بتاوة) أعطتها للكلب، فأعطاها كلبًا وليداً، فأعطته للغنَّام فأعطاها خروفاً... وترتد الحكاية للخلف مروراً بالسبعة طلبات حتى سلم العصفورة (طخ النبق) لأبي فصادة فيسلِّمها ذيلها، لتكمل بنيانها، وتعود إليها الحياة كباقي أقرانها متمثلة في الطيران.

إن السبعة طلبات السابقة، هي كيان ولبِنات تبُنى على النقص، وتبحث عن الكمال، ويعد كل طلب، صورة مشوهة للعيب الكائن في الحياة، كما يعد العصور الضعيف مشوهاً بنزع ذيله منه، الذي يعجزه عن الحركة، وعن الحياة كما يعد كل

طلب رحلة من الكفاح والعمل، نجح في اجتيازها ذلك العصفور الصغير، فكان لزاماً على ذلك الرقم المنصف الذي يتمم النقص ويسد العوز، أن ينهي الحكاية بالاكتمال، وتجميل التشويه والنقص.

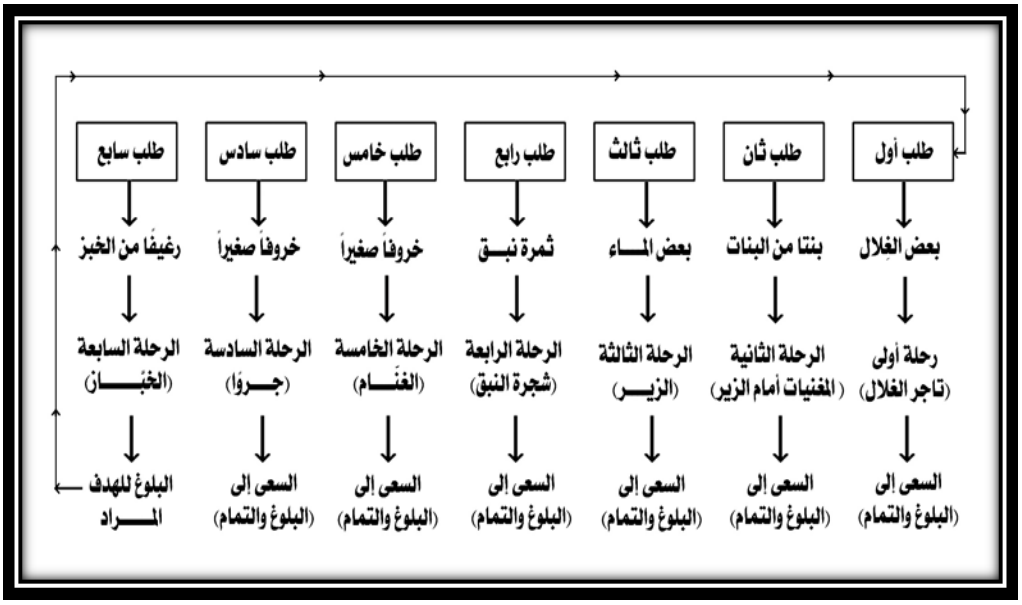

وفي دلالة أخرى للعدد (سبعة) أشارت إليها حكاية (السبع ولاد والسبع بنات) عن تفوق البنات السبع علي الأولاد السبع، بدلالة مختلفة، أن هذا العدد لا تحقق معجزاته وتجلياته إلا بشروط معينة، وهي أن تكون النيات والأهداف طيبه خيرّة، تسعى لتعمير الكون، كما أشرنا إلى بداية هذا العدد وعلاقته بأساطير نشأة الكون آنفا.

وفيها ينجب أحد الأخوين سبعة أولاد فيناديه الناس ب (أبو سبع فرحات)، وينجب الثاني سبع فتيات، فيناديه الناس (أبو سبع تعسات)، فتقرر البنت السابعة أن تثبت لعمها وللجميع مكانة البنت في المجتمع، وقدراتها الكامنة التي كثيراً ما تفوق الرجل وارتدت الابنة السابعة ملابس الرجل (علاء)، وذهبت في طريق، وذهب ابن عمها في طريق آخر للسعي في أمواج الحياة، ومواجهة دورسها المختلفة.

وتقابلت بابن العم وهو يُضرب من جماعة في إحدى الشوراع فدافعت عنه، ولكنها شرطت عليه أن تكويه بالنار في ظهره وأعطته مالاً؛ ليعود إلى البلدة والعائلة وكانت الابنة السابعة قد عملت في بيت أمر وهي بهيئة رجل، حتى أكُتشف أمرها ليلاً، وذهل جمالها الملك و أمه، وقرر الزواج منها، فأخذت أموالاً كثيرة وعربات فاخرة، وعادت إلى أبيها وأهلها وابن عمها الذي كذب على البلدة كلها، وكشفت هي كذبه وأظهرت علامة (الكوي) التي وسمت ظهره، و أعلمت الجميع بخيانته وكذبه وغدره لابنة عمه في القرية، وكيف كانت هي بأخلاقها وشهامتها ووقوفها بجواره أفضل منه، ومن أمثاله الرجال.

أما تلك الأقزام/ الجدعان/ الأبطال/ الفتيان السبع الذين يتسببون في إنقاذ الأميرة المسكينة التي تسحرها زوجة الأب، فتحليها عصفورة، ثم تضع في جسدها دبابيس مسحورة تفقدها الحياة، وتضعها في تابوت يرسو عند بيت السبع أقزام، الذين يقومون بإنقاذها ورعايتها حتى تعود إليها الحياة مرة أخرى.

إن هذه القوة التي تختص بها الآلهة / قوى الحياة، إنما أُمدت لهم لأنهم حملوا العدد سبعة فتشربوا بصفات السحرية وقدراته الإ لهية لخدمة الخلق والمخلوقات، هذا بالإضافة إلى التيمات الفنية المتكررة في الحكايات الشعبية والخاصة بالأفراح والليالي الملاح، التي لا تتم إلا بعد إتمامها سبع ليال، لكل ليلة طقوسها وعاداتها.

(وعملوا فرح سبع ليلات، وخلفوا صبيان وبنات، وعاشوا في سبات ونبات)

توحي هذه النماذج السريعة للحكايات الشعبية، تلك السيمائية المتوراثه التي لا تختلف كثيراً عن الأساطير القديمة، التي ارئبطت باستقرار الكون ونشأته، والكمال والتمام وسد العجز والنقصان، ويمكننا توضيح تلك القوى الخفية لذلك العدد السحري الأسطوري على تلك النماذج من الحكايات، التي تشبه حكايات كثيرة، يضيق المقام بذكرها، يمكننا إجمالها في عدة ملامح:-

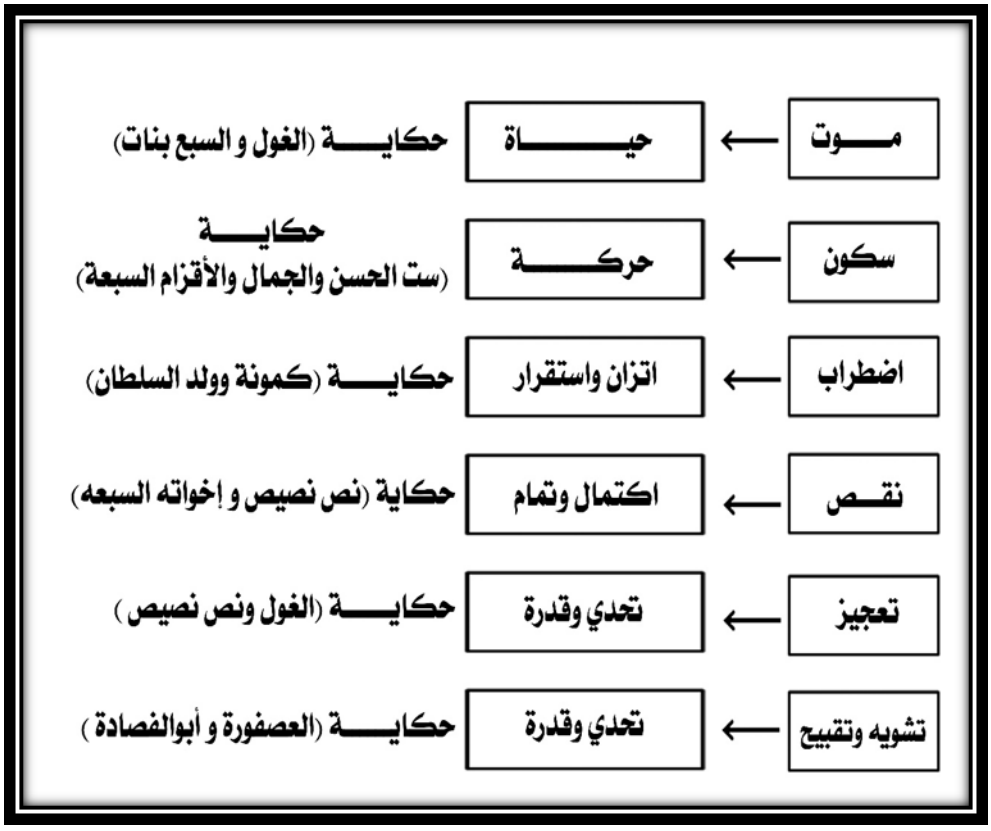

لقد كانت الحكايات الشعبية، عوالم مصغرة لما يحققه العدد سبعة من سيميائيات مختلفة في العوامل الحقيقية، حاولنا بلورتها في تلك الملامح السابقة، ونكمل أبرز ملامحها في الفنون الأدبية الشعبية الأخرى.

ثانيًا- سيميائية العدد (سبعة) في الأمثال الشعبية:

ارتبط العدد سبعة في كل فنون الأدب الشعبي بأحداث إيجابية وظواهر تمكينية، تجعل الحرص عليه طقساً إلزامياً وفرضًا مقدساً، واجب التمام والاكتمال.

فحرصت الحكاية الشعبية على بلوغ هذا العدد، بلوغا لتحقيق المُنى، والوصول للحظة التنوير التي تقلب أحداث الحكاية، وفي الأغنيات الشعبية، يتردد العدد تصريحًا أو تلميحًا في مقاطع الأغنيات، إيمانًا بالقوى الخارقة لتلك الأعداد والأرقام.

غير أن الأمثال الشعبية كانت مفارقة لكل تلك السيميائيات الإيجابية والدلالات الوقائية الدافعة للضرر عن أصحابها في الفنون الشعبية، التي ذُكرت آنفاً، بيد أنها ارتبطت هنا بالفشل والتشاؤم، رغم حرص المتلقي عليها، ما يثير التساؤل عن تلك المفارقة العجيبة، وربما لهذا السبب لم تزخر الأمثال الشعبية بهذا العدد كثيرًا، مقارنة بباقي الأعداد الأخرى كالثلاثة والأربعة والخمسة والمائة والألف، رغم مكانته التي يحظى بها في باقي الفنون الأدبية الشعبية الأخرى، فكان من الممكن أن تنتهي الأزمة التي يطرحها المثل الشعبي ببلوغه العدد (سبعة)، كما انتهت أزمات جسام في باقي الفنون الأدبية الشعبية، رغم مكانته التي تيخطي بها في باقي الفنون، كالزواج والميلاد والإنجاب، وتخفيف الآلام، وشفاء الأمراض، وتجنب الأوراح الشريرة والعين الحاسدة، لكنها تلك النظرة الواقعية التي يمثلها المثل الشعبي، تجعلها تقف عنده بشكل مغاير، وربما يعود ذلك إلى كون المثل الشعبي يعكس الواقع المادي، دون تزييف أو تجميل، " موقف صادق يختزن وجهة، قد لا تكون في الامتداد الأيدلوجي السليم، ولكنها تحمل غبار التجارب الاجتماعية المادية والمثل كتعبير: يصوغ الموقف المادي بلا وساطة نظرية " [١٢٠] والعدد (سبعة) لا يتأثر بخواص هذا الرقم السحري، بل تظل الأمور مستقرة على وضعها التشاؤمي السلبي، رغم تأكيد المثل أن العدد (سبعة) مصدق وواقع لامحالة (السبعة مسبوعة)، ومن أشهر تلك الأمثال الشائعة في مجتمعاتنا:

- **(سبع مناخل والقش داخل)**: وفي هذا المثل لم يفدِ وجود كثرة المناخل وتعددها (سبعة مناخل) [١٢١]؛ لعزل القش وغربلته، ويقال لعدم الجدوى من الشيء رغم كثرته.
- **(العيلة إللي من سبعة مالهاش شبعة)**: ويرمز هنا، العدد سبعة إلى الكثرة أيضا، وعدم الجدوى من الوصول إلى الشبع.
- **(سبع صنايع في إيديه والهم جاير عليه)**: كان من المفترض أنه يكمل كل المقومات التي تجعله سعيداً؛ حيث يملك أكثر من صنعة وحرفة ومهارة، كانت

قادرة أن ترفع قدره وشأنه إلى أعلى الدرجات، لكن (تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فتجير عليه الهموم وتتكالب عليه الأحزان). وهي تشبه في مضمونها الأمثال القائلة: **(سبع صنايع والبخت ضايع)** و**(سبع صنايع والرزق ضايع)**.

- ولم تبعد الأمثال الأخرى عن هذا المعنى كثيراً، فقد كانت ترمي تارة إلى **البعد الزماني وتارة أخرى إلى البعد المكاني:-**
- **العرق يمد لسابع جد.**
- **الأصل يمد السابع جد.**
- **النبي وصى على سابع جار.**

والبيت لا يكتمل بنيانه إلا بالأركان السبعة، لا الأربعة كما يظن الآخرون، وربما هي مبالغة لشدة الحرص، وزيادة الاهتمام بكل ركن، مهما بدا غير أساس، فلربما كان مصدراً للإيذاء والداء:-

- **دور بيتك السبع تركان، وبعدين أسأل الجيران.**
- **فتش بيتك سبع مرات، قبل ما تخوّن جارك.**
- **قالوا للقاضي ياسيدنا** الحيطة **شخ عليها كلب، قال تنهدم سبع وتتبني سبع، قالوا دي إللي بينا وبينك، قال أقل من المية يطهرها.**

يمكننا أن نخلص إلى عدة ملامح، كلها تبتعد عن معاني التحدي والمقاومة، بل تنحو منحى آخر، منحنى سلبي، فيه هزيمة ويأس، واستسلام معنوي ومادي، ربما كان ذلك انعكاساً للظروف الاقتصادية والاضطرابات السياسية التي تعكسها الآداب الشعبية في كثير من المجتمعات.

ثالثا ـ سيمائية العدد (سبعة) في الأغنيات الشعبية:

انتشر الرقم (سبعة) بشكل ملحوظ في الأغنية الشعبية، ليظل ميراثاً، مفعماً بالقوى الخفية التي تنعكس على كل المفردات المحيطة والملاصقة له.

وكان من أبرز تلك العناصر التي التصقت بهذا العدد؛ الحيوان، الذي كان قناعًا ورمزاً يُخفي أغراضًا دينية وسياسية واجتماعية، وغيرها منذ القدم [١٢٢].

وكان الثعلب من أكثر الحيوانات التي تشربت خواص هذا الرقم السحري من قدرة وحيلولة في تدبير كل عجز ونقص واختراق للمألوف، وتنبؤ بالغيب. "تسود معظم الثقافات فكرة عامة عن الثعلب، ترمز إليه كتجسيد لقوى بدائية تكون خيرة أحيانا وشريرة أحيانا أخرى، قوى ترتبط دائما بالطبيعة السائلة والمتغيرة، وتعرف عنّا أكثر مما نعرفه عنها "[١٢٣].

وإن اختلفت فحواها من حيث الكلمات والأبيات، بيد أنها حافظت على البناء الرئيس لها، الذي يعتمد فيه على الرقم (سبعة) وهي: " **الثعلب فات، فات وفي ديله سبع لفات** "، فقد وردت في روايات كثيرة، كان أشهرها:

التعلب فات فات، وفي ديله سبع لفات.
كان نفسه يشرب من البير.
ماقدرش حود ع الزير.
كلبنا هوهو هوهوله كتير.
التعلب خاف منه وفات.

وفي رواية أخرى:

التعلب فات فات / وفي ديله سبع لفات.
ياطالع الشجرة هات / كمترى وبلح أمهات.
الثعلب فات فات / وفي ديله سبع لفات.

وفي راوية ثالثة:

التعلب فات فات / وفي ديله سبع لفات.
والجبة وقعت في البير / صاحبها واحد خنزير.
والعسكر واقف طابور / ياجماعة شوفوا المأمور.

ولأن التعلب أكثر الحيوانات وثباً وقفزاً، فيقوم الثعلب في لعبة الأطفال الشهيرة بالمرور عليهم، ويتغنى الصبية بهذه الأغنية، وهو يحاول الإمساك بهم:

طاق طاق... طاقية
رن رن ياجرس
والتعلب فات فات
وبديله سبع لفات
جاني جواب لصاحبّه
واحد منكم أخده
غمضوا عنيكوا ياشطار
وإللي يفتح يبقى حمار

واسُتخدمت هذه الأغنية بأبعادها السياسية رمزاً للمغامرة والمحاورة، واستلهمتها الكثير من القصائد العربية (الفصحى والعامية)، هذا بالإضافة إلى عدد من المسرحيات والروايات التي حملت مطلع الأغنية مذهباً لها.

وسيطرت فكرة السبع محاولات على الأغنية الشعبية بقصد الكثرة والإصرار وبذل كل ما في الإمكان لبلوغ الهدف المراد:

أوعوا تقولوا فات عدى البحر وجابها
أوعوا تقولوا فاتها باعوا الأراضي وجابها
عدى البحر سبع مرات عدى البحر سبع مرات
.....
عدى البحري يا ناري ومين يجيبوا لي جاري
عدى البحر ومشفتوش إن كنش حليوة ماخدوش
عدى البحر سبع مرات عدى البحر سبع مرات

عدى البحر يا ناري وراحلي مع المأمور

ومن يجيبهوا لي أسقيه لمون

عدى البحر سبع مرات عدى البحر سبع مرات

.....

عدى البحري يا ناري عدى البحر مع الفلاح

ومين يجبهوا لي اسقيه تفاح

عدى البحر سبع مرات عدى البحر سبع مرات

وفي أغنية أخرى تدل على اكتمال خصال الجمال للعروسة البهية، والتي تتفنن الأغنية في سرد ملامحهاو خصالها:

كنت فين مخبية يا سبع وردات منديه

يا شعرك صفوف صفوف يا إيدك دهب من صوص

وخش ويا العريس وشوف دي عروستك متربيه

.....

كنت فين مخبية يا سبع فُلات منديه

يا إيدك بتلمع لمع ورقبتك بضي الشمع

دي عروستك شرفت الجمع كاملة الأدب ومتربيه

.....

هذا بالإضافة إلى تكرار مذهب الأغنية سبع مرات تدور حولهم الأغنية، لتعطي معنى الكمال والتمام، وكأنه بلغ بذلك المطلوب دون نقص أو عجز.

رشوا يادي الأوضه..... جياكي عروسة موضه

رشوا يادي المندره..... جياكي عروسة موضه

رشوا يادي القاعه..... جياكي عروسة الساعه

رشو ا الشارع ميه..... العروسة الحلوة جايه

رشوا الشارع كركاديه.....دي بنت عمدة وبت بيه

رشوا الحارة كاكولا العروسة منقوله

رشوا الحارة كاكولا عروستنا حلوة وأموره

أيوه ياحارة ضلمه إحنا إللي نورنا

أيوه يا حارة هس هس إحنا إللي عملنا لكم حس

وهذه الظاهرة (السباعية) تكررت في كثير من الأغنيات الشعبية، التي تعتمد على تكرار المذهب سبع مرات مع اختلاف المحتوى، لتوحي بالعموم والشمول والكمال.

سيمائية العدد (سبعة) في المعتقدات الشعبية:

لا تمر مرحلة من مراحل بناء حياة الإنسان (الميلاد – الزواج – الموت) – كمراحل بناء الكون – دون ذكر للعدد (سبعة)، متمثلة في الطقوس والعادات والتقاليد، وفي ذلك عود لخلق الإنسان بمراحله السبع، التي أشار إليها القرآن الكريم في خلق الإنسان (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين)[١٢٤].

وعدد أجهزته الحيوية، سبعة أجهزة (جهاز تنفسي – دوري – بولي – عظمي– عصبي – هضمي – عقلي)؛ ذلك أن المعتقدات الشعبية متوراثة كتوارث الكثير من مكونات ومشكلات العقل البشري، والوجدان الإنساني على مر العصور، وكلها مكونات فكرية تتكأ على روافد دينية وسياسة ونفسية... إلخ.

أولاً ـ العدد سبعة ومراحل الميلاد:

تناقضت سيميائية العدد (سبعة) ودلالته في مراحل ما قبل الميلاد؛ حيث تبدأ بالقلق والخوف في الشهر السابع، وتنتهي بالحبور والسرور بدءًا من الشهر التاسع؛ ففي الشهر السابع للحمل يبدأ الخوف والترقب على الأم والجنين؛ لِما في ذلك من مخاطر على كليهما إذا نزل الجنين في هذا الشهر.

فتبدأ الأسرة في أخذ الاحتياطات اللازمة، من أحجبة وأدعية وقرابين وأضحيات لحماية الأم وجنينها، وتجاوز ذلك الشهر المخيف الذي تحيطه العائلة برعاية تامة؛ استعطافا للأرواح الطاهرة المحيطة بالأم، ومروراً بعدم دخول عين حاسدة عليها، أو امرأة في فترة حيض أو نفاس، هذا بالإضافة إلى عدم خروج المرأة الحامل إلى المقابر في هذا الشهر، أو زيارة جنائز، أو السيرليلا في أماكن مهجورة، بالإضافة إلى عدم التعامل مع الحيوانات القابلة للتحول (التحول الأسطوري) كالقطط والكلاب السوداء[١٢٥].

وإذا ما مر الشهر السابع بسلام تبدأ الأم في الاستعداد لاستقبال المولود، فتأتي القابلة في اليوم المحدد منذ الصباح الباكر لتطعم الأم /الوالدة، سبع تمرات لتساعدها في عملية الولادة (الإحماء)، وتمنع السحر والحسد عنها، وتقوم بنشر سبعة أنواع من البخور العطرية، في كل أركان البيت، وتدور في أركان البيت المختلفة سبع مرات، ولا سيما حول المكان الذي ستتم فيه عملية الولادة، وتردد أثناء ذلك عدداً من الأدعية والأذكار، الوقائية، وتستدعي الأرواح الطيبة لمساندتها في مهمتها.وتتفاءل الأسرة لو كان هذا اليوم، هو يوم الجمعة اليوم السابع في الأسبوع، أما المسيحيون فيتفاء لون بيوم الأحد وهو اليوم المتمم لأيام الأسبوع السبع.

وتقوم الداية بربط رباط من الصوف في يد المرأة الواضعة، تعقده سبع عقدات لرفع السحر عنها، وتغسل الداية يديها سبع مرات، وكل الأدوات المستخدمة في عملية الولادة سبع مرات، وتذكر الله سبع مرات، وتصلي على المصطفى سبع مرات، محاولة في

ذلك مشاركة الأم / الواضعة في تلك الأذكار، إذا لم تغلبها آلام الوضع والولادة، وتأخذ القابلة بذكر الله ورسوله في كل مرحلة من مراحل الولادة، حتى سماع بكاء الوليد، وهو يُقبل على الحياة.

فتأخذ القابلة الوليد وتضعه في حضن الأم، ثم في حضن الجد، الذي يسرع بالتكبير سبع مرات في أذن الوليد والصلاة على النبي سبع مرات.

أما ليالي السبوع لا تقل بهجة وأهمية في المعتقد الشعبي والتي تتضمن كل عناصر العدد سبعة، فيوضع سبع شمعات في قلة إذا ما كان المولد بنتا، وسبع شمعات في إبريق للولد، وفي كليهما يوضع الماء به سبع حبات من القمح، وسبعة أنواع من البخور، وكل هذا يوضع في الإناء في مواجهة القمر والنجوم في مكان مفتوح مكشوفٍ، لخلق علاقة خاصة بين السماء والأرض، من خلال تلك المفردات.

هذا بالإضافة إلى الحرص على رش الملح والحبوب؛ كالقمح والذرة والفول في كل ركن من أركان بيت المولود، سبع حبات من كل صنف، وسبع مرات على عتبة الدار، وسبع مرات صوب كل اتجاه في الشارع.

وللملح مدلول كبير في الثقافات الإنسانية منذ القدم في إزالة السحر، والعلاج من الأمراض التي لم يُعرف لها سبب عقلي [١٢٦].

ثانيًا ـ العدد سبع ومراحل الزواج:

تتجلى سيميائية العدد سبعة، بشكل محلوظ قبل وأثناء وبعد الزواج، وتستمر خواصه وقواه، تتبع العروسين؛ بل وأهلهما والمحيطين بهما في كل خطوة تبلور ملمحاً من ملامح المعتقد الشعبي الراسخ في الوجدان والعقول.

يمكننا رصد عدد من تلك الملامح السيمائية للعدد وسبعة، والتي تلاحق مرحلة الزواج، وتشكل الكثير من طقوسه وتقاليده [١٢٧] أبرزها:-

أولاً ـ يحرص العروسان قبل الزفاف بأسبوع تناول سبع تمرات.

ثانياً ـ توضع سبع حبات من البقول (قمح – ذرة – فول...).

ثالثاً ـ يلبس العروسان إسورة من الصوف، مربوطة بسبع عقد.

رابعاً ـ يحرص العروسان أن يكون الزفاف في اليوم السابع من الأسبوع / نهاية الأسبوع.

خامساً ـ تحرص صديقات العروسة و أقاربها على إدخال العدد (سبعة) في تشكيل الحناء يوم الحنة، سواء تصريحاً، أو تلميحاً بتكرار إحدى المفردات أو الرموز سبع مرات.

سادساً ـ تبدأ الاحتفالات قبل الفرح بسبعة أيام، وتستمر بعده سبعة أيام.

سابعاً ـ يتكفل أهل العروسة بطعام العروسين، وإكرامهما بشتى أشكال الطعام، وصنوف المخبوزات لمدة سبعة أيام.

ثامناً ـ تقوم عائلتا العروسين بالاجتماع عند العروسين في اليوم السابع في محفل صغير، لتكون تلك الجلسة خاتمة لتلك الليالي السبع، ومتممة لحياة سعيدة تبدأ من ذلك اليوم.

ينبثق في كل مكان وآوان عدد من الطقوس والعادات الفرعية، تؤكد محاولة الحفاظ والإفادة – أكبر قدر ممكن – من تلك الخواص السحرية والمعجزة التي مُنحت لهذا العدد.

ثالثا ـ المفارقة السيميائية للعدد سبعة في مرحلة الموت:ـ

إن العدد سبعة يحمل مفارقة سيميائية تتعلق بالموت، تتجلى ملامحها في عدة مظاهر، أهمها:

إذا مات الإنسان في الليلة السابعة المتممة للأسبوع / ليلة الجمعة، كان من الصالحين، وهي علامة من علاقات حسن الخاتمة، وصلاح حاله في الدار الآخرة.

وتستمر مراسم العزاء لمدة سبعة أيام، يتم فيها استقبال العزاء، التي تبدأ في فجر اليوم السابع بزيارة المقابر، وذبح الذبائح، وقراءة القرآن الكريم منذ بزوغ الشمس، وحتى الغروب، ويرش بيت الميت بالماء والملح في كل أركان البيت سبع مرات بكل ركن، طرداً لروح الميت القرينة له في البيت، والمعلق استقرارها وصرفها بتلك الطقوس السباعية.

رابعًا ـ الخواص العلاجية للعدد سبعة:

يختص العدد سبعة بقدرته على علاج الكثير من الأمراض التي لا تُرفع إلا بعد بلوغها العدد سبعة، فإذا ما أُدّيت الطقوس نفسها بعدد مخالف لذلك العدد، لن تؤدي مهمتها العلاجية:

١ـ **الصداع**: الصداع الكلي والنصفي، من أهم تلك الأمراض التي يرتبط علاجها بذلك الرقم، فتحزم الرأس بعصبة متينة سبع حزمات، وتقرأ الأذكار على الرأس حتي يُرفع الصداع.

٢ـ **العقم**: يلعب العدد (سبعة) بخواصه السحرية دوراً مهماً في علاج العقم للسيدة العاقر، من خلال زيارة السيدة للأماكن المهجورة (كالمقابر والسكك الحديدية والمشرحة وغيرها) من الأماكن المظلمة ذات الوحشة، فتخطو بقدميها سبع مرات حتى تصاب بالإعياء والإغماء، وتفيق على إثرها، وقد غادرتها الأرواح الشريرة التي تلبسها، والمتسببة في ذلك العقم، وبعد الإفاقة تشرب سبع رشفات من مشروب ملحي (ماء ممزوج بالملح)، لتأكيد التطهر من تلك الأرواح.

٣ـ **الحجامة**: تعد قراءة الفاتحة سبع مرات من أهم الطقوس لممارسي العلاج بالحجامة.

٤ـ **الحمى**: يصب الماء فوق رأس المحموم سبع مرات لخفض الحرارة.

٥ـ **القرح**: يتمضمض (يتغرغر) المصاب بقرح اللسان واللثة سبع مرات بالماء الممتزج ببعض الأعشاب العلاجية.

٦ـ **إبعاد الإيذاء**: إذا أراد أحد إبعاد شخص مؤذ في حياته، فإنه يقرأ سورة الزلزلة حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) كررها سبع مرات، بنية إبعاد ذلك الإنسان المؤذي.

خاتمة:

لقد ضم علم الأعداد شتى العلوم النفسية والروحية والأدبية والاجتماعية (العادات والتقاليد والمعتقدات)، ولم تقتصر على تلك العلوم الرياضية والطبيعية والتنجيمية والفلكية التي حَصرتها قديمًا، لقد أصبح موجِهًا لسلوكياتنا ومصائر حياتنا؛ لذا نشأ عدد من العلوم المرتبطة بالعدد، والتي تربطه بسيميائيات معينة، بكل مفردات الحياة، الحية وغير الحياة، من أبرزها علم الأعداد أو الأنظمة (NUMEROLOGY) وعلم الجيماتريا، وهو الذي يربط الأرقام والحروف بالحياة.

وتوصي الدراسة باستكمال الدراسات الشعبية حول باقي الأعداد وإبراز دورها في تشكيل حياتنا وعاداتنا وتقاليدنا، والكشف عن دلائلها المتعددة.

الهوامش

(١) سورة الفتح – آية (٢٩) .

(٢) ابن منظور: لسان العرب – (٦٣٠هـ- ٧١١م) – مج ٣ – ص٣٥٠ – ٣٥٢ – طبعة مصورة عن طبعة بولاق – المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر – د/ت.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الجوهري: الصحاح – تحقيق: أحمد عبد الفور عطا- دار العلم للملايين – بيروت – ط٤ – مج٥ – ١٩٩٠م- ص٩٥٥.

(٥) فيصل الأحمر: معجم السيميائيات- الدار العربية للعلوم- بيروت- ط١- ١٤٣١هـ/٢٠١٠م – ص١٧.

(٦) ميشال أريفي وآخرون: السيمائية أصولها وقواعدها- ترجمة/ رشيد بن مالك – منشورات الاختلاف – الجزائر – ط٢٠٠٢م – ص٢٩.

(٧) فريدينان دوسوسير: محاضرات في الألسنية العامة-ترجمة/ يوسف غازي – مجيد النصير – المؤسسة الجزائرية للطباعة (د/ت) – ص٢٧.

(٨) ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط٣ – ٢٠٠٢م – ص١٧٩.

(٩) غريب إسكندر: الاتجاه السيميولوجي في نقد الشعر – الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – ٢٠٠٢م – ص٤٤.

(١٠) عبدالسلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية – الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر – ١٩٨٦م – ص٣٠.

(١١) ابنة الحلبي عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري – تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل- اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠٥م – ص٨.

(١٢) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – ت٣٩٥هـ) مقاييس اللغة: تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون ط١ – دار إحياء الكتب العربية-/ عيسى البابي الحلبي – القاهرة – د/ت.

(١٣) ابن منظور: لسان العرب: مصدر سابق – ج٤ – ص٢٧٥.

(١٤) سورة الطلاق – آية (٤) .

(١٥) سورة البقرة – آية (١٨٤) .

(١٦) لسان العرب – مصدر سابق – ص٢٧٥.

(١٧) الفراهيدي (الخليل بن أحمد الفراهيدي) : العين – تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي– وزارة الثقافة والإعلام–ج١– ١٩٨١م– ص٣٩.

(١٨) ابن منظور: مصدر سابق – ج٤ – ص٢٧٢.

(١٩) الجوهري: الصحاح – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا – دار العلم للملايين – ط٤ – ١٩٩٠م. مادة (عدد).

(٢٠) الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى): الكليات مؤسسة الرسالة – ج٣ – ط٢ – بيروت – ١٩٩٨م– ص٢٥٤.

(٢١) سورة الكهف – آية (١١).

(٢٢) سورة الجن – آية (٢٨).

(٢٣) سورة آل عمران – آية (١٣١) .

(٢٤) سورة البقرة – آية (١٨٥) .

(٢٥) سورة البقرة – آية (٨٠) .

(٢٦) سورة البقرة – آية (٢٠٣) .

(٢٧) سورة هود – آية (١٠٤) .

(٢٨) جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق– ترجمة: عباس صادق الوهاب – ط١ – بغداد – ١٩٩٧م– ص٢١٥.

(٢٩) مصطفى النحاس: العدد في اللغة (دراسة لغوية نحوية)– مكتبة الفلاح للطباعة والنشر – ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م – ص١٤.

(٣٠) وليد حسن الحلبي: فلسفة الأرقام والأعداد– مجلة الحوار المتمدن – العدد ٥٩٨٨ – ٢٠١٨م.

(٣١) كلثوم مدقن: دلالة العدد في القرآن الكريم– مجلة الأثر – العدد ١٤ جوان –٢٠١٢م– ص١٠٦.

(٣٢) محمد بن علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون – جـ٤ – منشورات شركة خياط للكتب والنشر – بيروت. ص٩٣٩ .

(٣٣) محمد بن حسن الرضي: شرح الكافية – مطبعة الشركة الصحافية العثمانية بإستانبول – ١٣١٠هـ- ص١٤٥.

(٣٤) مصطفى النحاس: مرجع سابق – ص١٨.

(٣٥) المرجع نفسه – ص٢٠.

(٣٦) العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية – الطبعة الثانية – نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- سبتمبر ٢٠٠٥م- ص٥٠ .

(٣٧) مصطفى النحاس: مرجع سابق – ص١٢٨.

(٣٨) المرجع نفسه: ص١٦٤ – ١٦٥.

(٣٩) شفيق حجا، وجورج شهلا: قصة الأرقام- سلسلة أمس واليوم – بيروت – لبنان – ١٩٤٨م.

(٤٠) مصطفى النحاس: العدد في اللغة – مرجع سابق ص١٠.

(٤١) جون ماكليش: العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر – ترجمة: خضر الأحمد – وموفق دعبول عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٢٣- ١٩٩٠م – العدد ٢٥١ – ص٢٠.

(٤٢) قصة الأرقام – مصدر سابق – ص٣٥.

(٤٣) قصة الأرقام – مرجع سابق – ص٨٣.

(٤٤) العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر- مرجع سابق – ص٤٣.

(٤٥) المرجع نفسه- ص٣٠.

(٤٦) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة (العصر الوسيط الطبقة التاسعة) – ٢٠١١م – ص٣١.

(٤٧) العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر – مصدر سابق – ص٣٤.

(٤٨) نعيم فرج: موجز تاريخ الشرق الأول – دار الفكر – دمشق – ١٩٧٢م – ص٥٦.

(٤٩) العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر- ص٤١.

(٥٠) المصدر نفسه– ص٥٤.

(٥١) المصدر نفسه– ص٥٧.

(٥٢) أوليفية إسلانجيه: مقدمة في علم الفلك –ترجمة – طارق كامل – مراجعة د/ السيد عطا. الطبعة الأولى – ٢٠١٧م – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب– ص٣٠.

(٥٣) المصدر نفسه – ص٣٤.

(٥٤) إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط – تحقيق: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة – د/ت ج١ ص٤٥٢ .

(٥٥) كتاب العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر – مرجع سابق – ص٥٩.

(٥٦) المرجع نفسه– ص٥٩.

(٥٧) مقدمة في علم الفلك – مصدر سابق– ص٣٣.

(٥٨) ياسين خليل: العلوم الطبيعية عند العرب – مطبعة جامعة بغداد – ١٩٨٠م – ص٩.

(٥٩) طه عبدالمقصودعبدالحميد: الحضارة الإسلامية– ج١– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م – ص٣٣١.

(٦٠) محمد رجب السامرائي: علم الفلك عند العرب – منشورات دائرة الشئون الثقافية – بغداد ١٩٨٤م– ص٢٧.

(٦١) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): التنبيه والأشراف – تحقيق وفهرسة: عبدالله إسماعيل الصادق – طبعة مكتبة الشرق الإسلامية – مصر – ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م – ص١٢.

(٦٢) الإسطرلاب هو قرص دائري رتبت فيه الكواكب في ثلاث دوائر، ذات مركز واحد، وقسم القرص إلى اثنى عشر قطاعًا، كل قطاع يمثل شهرا من أشهر السنة، ويتألف كل قطاع من ثلاثة كواكب من أصل ٣٦ كوكبا، كانت معروفة لديهم آنذاك، وبواسطة الإسطرلاب تمكنوا من حساب أبعاد النجوم بالدرجات، وبدأوا بوضع معلوماتهم الفلكية عن النجوم التي تظهر في الفصول المختلفة من السنة في نظام وترتيب علميين عن: نعيم فرج: موجز تاريخ الشرق الأدبي – دار الفكر – دمشق – ١٩٧٢م – ص٣٥٩.

(٦٣) عامر الجميلي: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة – دمشق – ٢٠٠٥م – ص٧٥.

(٦٤) العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر – مرجع سابق – ص٦٤ : ٦٦.

(٦٥) خالد حربي: أسس الرياضيات الحديثة في الحضارة الإسلامية – جامعة الإسكندرية– المكتب الجامعي الحديث – ٢٠١٤م – ص١٣.

(٦٦) العدد من الحضارات القديمة – مرجع سابق – ص٨٢.

(٦٧) المرجع نفسه– ص١١١ : ١١٣.

(٦٨) العدد من الحضارات القديمة – ص١١٦.

(٦٩) المرجع نفسه – ص١٣٢.

(٧٠) فاروق الراوي: حضارة العراق – ج٢– بغداد ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م– ص٣١٤.

(٧١) النظام الستيني هو تقسيم الدائرة إلى ٢٦٠ درجة، والدرجة إلى ٦٠ دقيقة، والدقيقة إلى ٦٠ ثانية.

(٧٢) فراس السواح: دين الإنسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني – منشورات دار علاء الدين – دمشق – الطبعة الرابعة – ٢٠٠٢م – ص٤٨.

(٧٣) محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية الجزء الأول – دار الكتاب للتوزيع – القاهرة – ط١ – ١٩٧٨م – ص٤٢.

(٧٤) جوزيف جاسترو: التفكير السديد – ترجمة: لوقا نظمي دار النشر للقافة النفسية – الطبعة الأولى – القاهرة– ١٩٥٨م – ص١٤٤.

(٧٥) عبد الحميد زايد: الرمزو الأسطورة، عالم الفكر – المجلد السادس – العدد الثالث – ص٣٥ عن كارم محمود عبد العزيز: أساطير العالم القديم – مكتبة النافذة للنشر– الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٧٦) موفق الدين يعيش بن على يعيش النحوي: شرح المفصل– ت ٦٤٣هـ– إدارة الطباعة الميزية – ط٥– د.ت– ص٩.

(٧٧) سورة البقرة – آية (٢٢٨).

(٧٨) أبو حيان (أبوعبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي): تفسير البحر المحيط – ت٧٤٥/ بالقاهرة – الطبعة الأولي ١٣٢٨هـ– مطبعة السعادة بمصر – ج٢ – ص١٨٦ – ١٨٧.

(٧٩) سورة المائدة – آية (٨٩) .

(٨٠) سورة النساء – آية (١١) .

(٨١) البخاري: صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب علامات المنافق رقم (٣٣)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال المنافق، برقم (٥٩).

(٨٢) سورة المجادلة – آية (٧).

(٨٣) سورة المرسلات – آية (٣٠).

(٨٤) الترمذي (أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩))-جامع الترمذي- بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع-٤٢٠-١٩٩٩م – حديث رقم (٢٤٩٤) .

(85) Bonnet, H.Reallexikondes Egyptischen Religion geschichter– Berlin1952.

(٨٦) عبد العزيز صالح: الأسرة في مصر القديمة – القاهرة – ١٩٨٨م- ص٥٠ .

(٨٧) ألف ليلة وليلة – مطبعة المشهد الحسيني – القاهرة درت – مصدر سابق.

(٨٨) يلاحظ قلب الثاء تاء في الحكايات الشعبية للتخفيف، للاطلاع على تلك الحكايات: انظر: الحيوان في الحكايات الشعبية في محافظة أسيوط – أسماء عبد الرحمن- مصدر سابق .

(٨٩) أحمد مرسي: مقدمة فى الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م. ص٣٥ – ٣٦.

(90) Hertessg G. Popularsong, the Richard, in New Yourk, 1972.

(٩١) من العناد والتحدي.

(٩٢) ويبدو أن هذه الأغنية ارتبطت بعصر النهضة الصناعية والزراعية في عصر محمد علي باشا.

(٩٣) الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري): مجمع الأمثال- منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ط٢ – د./ت – ص١٣.

(٩٤) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة- ١٩٥٣م – ص٦١.

(٩٥) ابن منظور: لسان العرب- مج٥- مصدر سابق – ص٤٠٥. مادة لغز.

(٩٦) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع- ط٣ – ص١٩١.

(٩٧) ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد. ت٦٣٧هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة –مطبعة الرسالة ١٩٦٢م- ط١-٢/٢٢٦.

[٩٨] نبيلة إبراهيم: مرجع سابق – ص١٩٥ – ١٩٦.

[٩٩] انظر حكايات (الوزير والفلاح – حكاية أولها كذب وآخرها كذب)– كتاب أسماء عبد الرحمن– الحكاية الشعبية في أسيوط(جمع ودراسة) – الهيئة العامة لقصور الثقافة–٢٠١٣م .

[١٠٠] الدميري (كمال الدين الدميري (٧٤٢ – ٨٠٨ هـ))–حياة الحيوان – دار طلاس للدراسات والنشر – دمشق – طبعة ١٩٩٢ م .

[١٠١] سوة الطلاق – آية ١٢.

[١٠٢] القزويني: عجائب المخلوقات – تحقيق: فاروق سعد – دار الآفاق الجديدة – ط ٥ – ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م– ص٣٧٩ .

[١٠٣] العهد القديم – سفر التكوين – الإصحاح الثاني (٧ : ٢) .

[١٠٤] فاضل عبد الواحد علي: سومر أسطورة وملحمة– بغداد – ١٩٩٧ م –ص ١٨١ .

[١٠٥] روبر جاك تيبو: موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية – ترجمة: فاطمة عبدالله محمود – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٤م– ص١ : ٣٤.

[١٠٦] باسكال عواد: رمزية العدد سبعة والتسبيع عند العرب–٢٠/فبراير/٢٠١٩م عن:
https//raseef22.net

[١٠٧] سورة الحجر – آية ٤٣ – ٤٤.

[١٠٨] سورة نوح – آية (١٥).

[١٠٩] سورة يوسف – آية ٤٣.

[١١٠] سورة يوسف – آية (٤٧– ٤٨).

[١١١] وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال، وثمانية أيام" سورة الحاقة– آية (٦– ٧) .

[١١٢] " يقولون سبعة وثامنهم كلبهم " الكهف–آية (٢٢) .

[١١٣] ابن بلبان الفارسي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان تحقيق: شعيب الارناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١.

[١١٤] الجزري (أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير): النهاية في غريب الحديث والأثر (سبع)، تحقيق : طاهر الزاوي – المكتبه العلمية – بيروت – د.ت – ص ٢ :٨٤٢.

(١١٥) سورة الأعراف – آية (١٥٥).

(١١٦) التوبة – آية(٨٠) .

(١١٧) زين الدين محمد الروؤف بن علي المناوي: من فيض القدير– شرح الجامع الصغير– ٤ / ٥١– المكتبة التجارية الكبرى/ مصر.

(١١٨) أنور أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية – مكتبة لبنان – ١٩٩٣ م– ص ٥٣ .

(١١٩) المصدر نفسه– ص (٥٣ – ٥٤) .

(١٢٠) محمد إبراهيم أبو سنة: فلسلفة المثل الشعبي – الدار الثقافية للنشر – ط ١ – القاهرة – ١٤٣٠هـ– ٢٠٠٩م – ص ١٧.

(١٢١) مناخل: هو الغربال الذي يستخدم في عزل الدقيق عن باقي مكونات القمح كالقش وغيره.

(١٢٢) انظر كتاب كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة.

(١٢٣) مارتن والن: الثعلب – التاريخ الطبيعي والثقافي – ترجمة: ريم الذوداي – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ– ٢٠١٠ م – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – ص ٤٦.

(١٢٤) سورة المؤمنون– من الآية (١٢ : ١٤) .

(١٢٥) يؤمن المعتقد الشعبي أن القطط البيضاء متحولة عن توأم حديث الولادة؛ لذا يشبه صوتها صوت الأطفال، وعن جان إذا ما كانت سوداء تحاول التلصص على أهل البيت وإيذائهم، أما الكلاب السوداء فهي نجسة متحولة عن شياطين مردة.

(١٢٦) عبدالحكيم خليل: دراسات في المعتقدات الشعبية مكتبة الدراسات الشعبية – مصر – ط – ٢٠١٣م – ص ٦٧

(١٢٧) تعد هذه الطقوس والعادات، الأبرز انتشاراً في محافظات صعيد مصر، مع وجود فوارق طفيفة بينها.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا-المصادر والمراجع العربية:

- القرآن الكريم.
- العهد القديم.

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط – تحقيق: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة – د/ت ج١.

(٢) ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد.ت٦٣٧هـ) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر – تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة – مطبعة الرسالة ١٩٦٢م- ط١ -ج٢.

(٣) أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – ١٩٥٣م.

(٤) أحمد مرسي: مقدمة فى الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م.

(٥) أسماء عبد الرحمن: الحكايات الشعبية في أسيوط – الهيئة العامة للكتاب- ٢٠١٣م.

_____ : حكايات الحيوان في محافظة أسيوط- الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الدراسات الشعبية – القاهرة ٢٠١٩م.

(٦) أنور أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية – مكتبة لبنان – ١٩٩٣ م.

(٧) ألف ليلة وليلة – مطبعة المشهد الحسيني – القاهرة د/ت.

(٨) ابن بلبان عبد الله الفارسي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حيان تحقيق:شعيب الارناؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١.

(٩) الترمذي (أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩-٢٧٩)) -جامع الترمذي- بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع-٤٢٠-١٩٩٩م – حديث رقم (٢٤٩٤).

(١٠) الجزري (أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير): النهاية في غريب الحديث والأثر (سبع)، تحقيق: طاهر الزاوي- المكتبه العلمية – بيروت – د.ت.

(١١) ابنة الحلبي عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري – تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل- اتحاد الكتاب العرب – دمشق – ٢٠٠٥م.

(١٢) الجوهري: الصحاح – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطا – دار العلم للملايين – ط٤ – ١٩٩٠م.

(١٣) أبو حيان (أبوعبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي): تفسير البحر المحيط – ت٧٤٥/ بالقاهرة– الطبعة الأولى١٣٢٨هـ– مطبعة السعادة بمصر–ج٢.

(١٤) خالد حربي: أسس الرياضيات الحديثة في الحضارة الإسلامية – جامعة الإسكندرية– المكتب الجامعي الحديث – ٢٠١٤م.

(١٥) الدميري (كمال الدين الدميري (٧٤٢ – ٨٠٨ هـ))–حياة الحيوان –دار طلاس للدراسات والنشر – دمشق – طبعة ١٩٩٢م.

(١٦) زين الدين محمد الروؤف بن علي المناوي: من فيض القدير– شرح الجامع الصغير–٤/ ٥١– المكتبة التجارية الكبرى/ مصر.

(١٧) شفيق حجا، وجورج شهلا: قصة الأرقام– سلسة أمس واليوم – بيروت – لبنان – ١٩٤٨م.

(١٨) طه عبدالمقصود عبدالحميد: الحضارة الإسلامية– دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م – ج١.

(١٩) عامر الجميلي: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة – دمشق – ٢٠٠٥م.

(٢٠) عبدالحكيم خليل: دراسات في المعتقدات الشعبية مكتبة الدراسات الشعبية – مصر– ط – ٢٠١٣م.

(٢١) عبد الحليم نور الدين: اللغة المصرية القديمة (العصر الوسيط الطبقة التاسعة) – ٢٠١١م.

(٢٢) عبد السلام المسدي: اللسانيات وأسسها المعرفية – الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر– ١٩٨٦م.

(٢٣) عبد العزيز صالح: الأسرة في مصر القديمة – القاهرة – ١٩٨٨م.

(٢٤) العقاد: أثر العرب في الحضارة الأوروبية – الطبعة الثانية– نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – سبتمبر ٢٠٠٥م.

(٢٥) غريب إسكندر: الاتجاه السيميولوجي في نقد الشعر– الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية – ٢٠٠٢م.

(٢٦) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا – ت٣٩٥هـ) مقاييس اللغة: تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون ط١ – دار إحياء الكتب العربية –/ عيسى البابي الحلبي – القاهرة – د/ت.

(٢٧) فاروق الراوي: حضارة العراق – ج٢– بغداد ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م.

(٢٨) فاضل عبد الواحد علي: سومر أسطورة وملحمة– بغداد – ١٩٩٧م.

(٢٩) فراس السواح: دين الإنسان – بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني – منشورات دار علاء الدين – دمشق – الطبعة الرابعة – ٢٠٠٢م.

(٣٠) الفراهيدي (الخليل بن أحمد الفراهيدي): العين – تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي – وزارة الثقافة والإعلام–ج١– ١٩٨١م.

(٣١) فيصل الأحمر: معجم السميائيات– الدار العربية للعلوم – بيروت – ط١ – ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

(٣٢) القزويني: عجائب المخلوقات – تحقيق: فاروق سعد – دار الآفاق الجديدة – ط ٥ – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(٣٣) كارم محمود عبد العزيز: أساطير العالم القديم – مكتبة النافذة للنشر– الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

(٣٤) الكفوي (أبو البقاء أيوب بن موسى): الكليات مؤسسة الرسالة – ج٣ – ط٢ – بيروت – ١٩٩٨م.

(٣٥) كلثوم مدقن: دلالة العدد في القرآن الكريم – مجلة الأثر – العدد ١٤ جوان –٢٠١٢م.

(٣٦) محمد إبراهيم أبو سنة –فلسلفة المثل الشعبي – الدار الثقافيه للنشر – ط ١ – القاهرة – ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

(٣٧) محمد بن حسن الرضي: شرح الكافية – مطبعة الشركة الصحافية العثمانية باستانبول – ١٣١٠هـ.

(٣٨) محمد بن علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون–منشورات شركة خياط للكتب والنشر – بيروت– جـ٤.

(٣٩) محمد الجوهري: الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية – الجزء الأول – دار الكتاب للتوزيع – القاهرة – ط١ – ١٩٧٨م.

(٤٠) محمد رجب السامرائي: علم الفلك عند العرب – منشورات دائرة الشئون الثقافية – بغداد١٩٨٤م.

(٤١) المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): التنبيه والأشراف – تحقيق وفهرسة: عبدالله إسماعيل الصادق – طبعة مكتبة الشرق الإسلامية – مصر – ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م.

(٤٢) مصطفى النحاس: العدد في اللغة (دراسة لغوية نحوية)– مكتبة الفلاح للطباعة والنشر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٤٣) ابن منظور: لسان العرب – (٣٦٠هـ – ٧١١م) – مج ٣ – طبعة مصورة عن طبعة بولاق – المؤسسة المصرية للتأليف والأنباء والنشر – د/ت.

(٤٤) موفق الدين يعيش بن على يعيش النحوي: شرح المفصل – ت ٦٤٣هـ – إدارة الطباعة الميزية– ط٥– د/ت.

(٤٥) ميجان الرويلي وسعد البازعي: دليل الناقد الأدبي – المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب – ط٣ – ٢٠٠٢م.

(٤٦) الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري): مجمع الأمثال– منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان – ط٢ – د./ت.

(٤٧) نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي– دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع– ط٣.

(٤٨) نعيم فرج: موجز تاريخ الشرق الأول – دار الفكر – دمشق – ١٩٧٢م.

(٤٩) ياسين خليل: العلوم الطبيعية عند العرب – مطبعة جامعة بغداد – ١٩٨٠ م.

ثانيًا- المراجع المترجمة:

(١) أوليفية إسلانجيه: مقدمة في علم الفلك –ترجمة – طارق كامل – مراجعة د/ السيد عطا. – مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب –الطبعة الأولى – ٢٠١٧م.

(٢) جوزيف جاسترو: التفكير السديد – ترجمة: لوقا نظمي– دار النشر للثقافة النفسية – الطبعة الأولى – القاهرة – ١٩٥٨م.

(٣) جون لاينز: اللغة والمعنى والسياق– ترجمة: عباس صادق الوهاب – ط١ – بغداد – ١٩٩٧م.

(٤) روبر جاك تيبو: موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية – ترجمة: فاطمة عبدالله محمود – المجلس الأعلى للثقافة – ٢٠٠٤م.

(٥) فردينان دوسوسير: محاضرات في الألسنية العامة –ترجمة/ يوسف غازي – مجيد النصير – المؤسسة الجزائرية للطباعة (د/ت).

(٦) مارتن والن: الثعلب – التاريخ الطبيعي والثقافي – ترجمة: ريم الذوداي – هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث– الطبعة الأولى١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م.

(٧) ميشال أريفي وآخرون: السيمائية أصولها وقواعدها– ترجمة/ رشيد بن مالك – منشورات الاختلاف – الجزائر – ٢٠٠٢م.

ثالثا ـ المجلات والدوريات:

(١) جون ماكليش: العدد من الحضارات القديمة حتى عصر الكمبيوتر – ترجمة: خضر الأحمد– وموفق دعبول –عالم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت – ١٩٢٣– ١٩٩٠م – العدد ٢٥١.

(٢) عبد الحميد زايد: الرمزو الأسطورة، عالم الفكر – المجلد السادس – العدد الثالث.

(٣) وليد حسن الحلبي: فلسفة الأرقام والأعداد– مجلة الحوار المتمدن – العدد ٥٩٨٨ – ٢٠١٨م.

رابعًا ـ المراجع الأجنبية:

(127) Bonnet, H.Reallexikondes Egyptischen Religion geschichter – Berlin1952.

(2) Hertessg G. Popularsong, the Richard, in New Yourk, 1972.

خامسًا ـ الشبكة العنكبوتية:

- باسكال عواد: رمزية العدد سبعة والتسبيع عند العرب–٢٠/ فبراير/٢٠١٩م عن:

https//raseef22.net